٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٢٢٠

المملكة العربية السعودية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

عقيدة البعث الآخر

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الأولى «الماجستير»

٢٢٢٣ ٠٠ ر

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات

٢٢٠

إعداد
سويلم بن عقاب النوم

إشراف
فضيلة الشيخ الأستاذ محمد الغزالي

١٣٩٨هـ - ١٣٩٩هـ

١١١٤٧

بسم الله الرحمن الرحيـــم

قال تعالى :

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلنـــاه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنـا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأنـــاه خلقا آخـــر فتبارك الله أحسن الخـالقين . ثم انكم بعد ذلك لميتون . ثـــم انكم يوم القيامة تبعثون) .

سورة المؤمنون آية (١٢ - ١٦)

شكـــــر وتقديـــــــــــر

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلـــى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فانني أشكر الله تعالى الذى أنعم علينا بنعم كثيرة من أجلّهـــــا وأعظمها نعمة الاسلام . أشكره تعالى معترف بالتقصير وراج العفو عن القليل والكثير . ثم أتقدم بخالص التقدير للقائمين على جامعة الملك عبد العزيز عمومـــا وأخص منهم القائمين على الدراسات العليا الشرعية .

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لشيخى الفاضل وأستاذى الكريم محمد الغزالى صاحب الصدر الرحب والغيرة الاسلامية الصادقة ـ المشرف على هذه الرسالـــة من بدايتها حتى نهايتها ، والذى منحنى الكثير من توجيهه ووقته ووسعنـــــى بحلمه وصبره ولم يبخل علىّ بشىء من علمه ، وليس لدىّ ما أكافئه به سوى أننى أرفع أكف الضراعة الى العلىّ القدير أن يبارك فى عمره وأن يمنحه العفو والعافية فـــى الدنيا والآخرة ، وأن يجزيه خير الجزاء .

ثم أتقدم بالشكر لكل من ساعدنى من الزملاء والاخوان فى انجاز مراحـــل الرسالة الاخيرة . وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه .

سويلم بن عقاب التوم

المقدمـــــة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى لـه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسولـه صلى الله عليه وسلم .

أما بعـــد :

فانه لمن فضل الله علىّ أن وفقنى لطلب العلم الشرعى الشريـــف وأهّلنى للالتحاق بالدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيـز . ولما كان من نظام الدراسات العليا أن يختار كل طالب موضوعا علميا فى مجـال تخصصه لينال به درجة الماجستير ، وكان تخصصى فى فرع العقيدة والفـرق ، أخذت أبحث عن موضوع مناسب ، تتوفر فيه الأهمية والجده ، وفى حدود الزمـن المقدر لتحضير الرسالة . واستشرت بعض العلماء الافاضل فى كثير من الموضوعات وبعد جهد طويل ، يسر الله اختيار موضوع : (عقيدة البعث الآخر) فوجدتـه موضوعا مناسبا لعصرنا الذى ذكر يومه ونسى غده .

والايمان باليوم الآخر من أعظم متعلقات الايمان ، فهو ركن من أركانـه وأس من أسسه التى لا يصح الايمان بغيرها .

والبعث الآخر من أهم عناصر الايمان بالغيب وكذلك ما تضمنه من الحشر والحساب والجنة والنار . وهو أول قضية ينازع فيها الكفار على امتداد تاريخهم بعد قضية الايمان بالله وتوحيده فى العبادة . فمنهم من ينكره جملة وتفصيلا ، ومن يراه فـى صورة تناسخ الارواح وتجوالها من جسد الى جسد آخر فى هذا العالم الدنيوى . ومنهم من يؤمن ببعث روحانى فقط ولا يعير الجسد أى اهتمام ، الى غير ذلـك من التصورات الجاهلية .

لكل هذه الأسباب ولأمور أخرى منها :

أولا : طغيان المادة وسيطرتها على المشاعر العامة والغرائز الناشطة حتى وصل بها الحد الى اهمال العمل الصالح والعمى عن ادراك مصيرهـا الذى لابد أن تواجهه .

ثانيا : الرغبة فى النصيحة لله وايقاظ الضمير الذى يحاسب صاحبه ويشعره برقابة الله وضرورة العودة اليه والاستعداد لمسئولية الجزاء والحساب وأهوال الموقف بين يدى الله تعالى فى دار غير هذه الدار الدنيا لابد أن ننتقل اليها .

ثالثا : الرغبة فى اعطاء صورة مشرقة وفهم اسلامى صحيح لهذه العقيدة ، وابراز مشاهد حية لامكان البعث وبراهين وقوعه ، وصفته التى يجب الايمان بها كما رسمها ديننا العظيم .

لهذه الاسباب اخترت هذا الموضوع وبذلت الجهد الواجب فى جمع مادته واستقصاء معلوماته من المراجع القريبة والبعيدة فرأيت أن أتردد على المكتبات الجامعة ، وأطالع ماحوت من آراء ومذاهب ، وتكلفت مشقة السفر لكل من مصر وسوريا والاردن وزرت أكثر المكتبات الخاصة ، وقابلت بعض الشخصيات الاسلامية . وبعد جمع المادة بدأت فى ترتيبها وتبويبها فان أكن وفقت فى جمع معلوماتها وأعطيت القارىء الكريم صورة صادقة لهذا البحث المهم فذلك ماأردت والتوفيق الى ذلك من الله تعالى .

وان قصرت والتقصير من طبيعة البشر فحسبى أننى أدليت بدلوى مع أهل العلم وأفرغت وسعى فى خدمة دينى وارضاء ربى .

وانني مع ذلك كله لراغب فى الاستفادة وحسن التوجيه ، ومرحب بكل تصويب أو استدراك سديد .

مقدمة

خطة البحث : لقد قسمت البحث الى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

×

أما المقدمة : فقد ذكرت فيها الدوافع الى اختيار الموضوع وعرضت فيها المنهج الذي سرت عليه فى كتابته .

وأما التمهيد : فقد جعلته مدخلا بين يدى الرسالة أوضحت فيه تعريف البعث اللغوى والشرعى وما بينهما من علاقة . ونبهت فيه الى أهمية الموضوع وأهمية الكتابة فيه فى هذا العصر بل وفى غيره من العصور .

وأما الباب الاول :

فقد جعلته دراسة تاريخية لعقيدة البعث فى الاديان القديمة وقسمته الى أربعة فصول وهى :

الفصل الاول : تحدثت فيه عن عقيدة البعث فى الفكر المصرى القديم .
الفصل الثانى : تحدثت فيه عن عقيدة البعث عند الفرس وفى ديانة زرادشت .
الفصل الثالث : تحدثت فيه عن البعث عند البراهمة والبوذيين .
الفصل الرابع : تحدثت فيه عن البعث عند العرب قبل الاسلام .

وأما الباب الثانى :

فقد تحدثت فيه عن عقيدة البعث فى كل من الديانتين السماويتين اليهودية والنصرانية وقسمته الى فصلين :
الفصل الاول : تحدثت فيه عن موقف الديانة اليهودية من البعث قبل التحريف وبعده .
الفصل الثانى : تحدثت فيه عن موقف الديانة النصرانية من البعث قبل التحريف وبعده .

وأما الباب الثالث :

فقد أفردته للحديث عن البعث فى الاسلام وجعلته فى تمهيد وثلاثة فصول :

أما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن اهتمام القرآن والسنة بهذه العقيدة ، وتعرضت فيه لذكر مقدمات نفسية وفكرية تدعو الى الايمان بالبعث .
وأما الفصل الاول : فقد بينت فيه أدلة البعث العقلية والنقلية بالتفصيل مع عرضها بالمسالك التى سلكها القرآن الكريم فى اثباته .
وأما الفصل الثانى : فقد جعلته للحديث عن صفة البعث التى يجب الايمان بها وتعرضت فيه لذكر أقوال العلماء والفلاسفة ورجحت المذهب الحق الذى تؤيده نصوص الكتاب والسنة .

وأما الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن أقوال علماء الاسلام فى صفة الاعـــادة وعرضت لأدلتهم وآرائهم فيها وبينت المذهب الحق الذى تعضّـــده النصوص القرآنية والنبوية .

وأخيرا ذيلت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التى يفيدهـــا هذا البحث .

الباحـــث

تمهيـــد :

ويشتمل على تعريف البعث لغة وشرعا ـ وأهمية الكتابة فيه :

أ ـ تعريف البعث لغة وشرعا :

١) البعث لغة :

يقال في اللغة بعثه وابتعثه أي أرسله .

ويقال : كنت في بعث فلان بفتح العين : أي في جيشه الذي بعث فيه .

ويقال : بعثه من منامه : أي أهبّه وأيقظه . (١)

ويظهر من هذه التعاريف : أن أصل البعث اثارة الشيء وتوجيهه ، وهو يختلف باختلاف ماعلق به .

٢) البعث شرعا :

أما البعث في لسان الشرع : فهو احياء الله للموتى واخراجهم من قبورهم وأماكن وجودهم ليساقوا الى موقف الحساب يوم القيامة : كما قال تعالـــى : (وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور) (٢)

وقال تعالى : يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبين لكم ونقرّ في الارحام مانشاء الى أجل مسمى) . (٣)

وقال سبحانه متوعدا بالبعث : (واذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمـــت وأخرت) (٤) الى غير ذلك من الأدلة الكثيرة .

---

(١) انظر قواميس اللغة مادة بعث مثلا لسان العرب ٢/٤٢١ ، قاموس المحيط ١/١٦٨

(٢) سورة الحج الآية ٧

(٣) سورة الحج الآية ٥

(٤) سورة الانفطار الآية ٤ ـ ٥

وهنا نرى أن هناك ارتباطا وثيقا بين المعنى اللغوى والمعنى الشرعـــــى •

فكلمة البعث فى اللغة تدل على أمرين لا ثالث لهما :

أحدهما : وجود باعث يعدّ المبعوث ويهيئه للجهة التى يريد بعثه اليها كما يشيـــــر الى ذلك قوله تعالى : (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (١) •

الثاني : وجود مبعوث صالح للبعث وأداء المهمة التى من أجلها يبعث •

ولعلنا اذا نظرنا الى الاستعمال الشرعى لكلمة " البعث " بعد نقلها اليه على معنى بعث الاموات يوم القيامة نجد أنه يحمل الأصل اللغوى لكلمة البعث ـ ومعنى ذلك أن هذا البعث للأجساد لا يكون الا بدعوة من داع قادر عالم يبعث الحيـــــاة فى هذه الأجساد ويهيؤها لتصبح صالحة لاجابة الدعوة الى الجهة التى يريدها •

وفى الحقيقة أن فى هذا الاستعمال الشرعى لكلمة البعث دلالة على بلاغة التعبير القرآنى واعجازه حيث أصبح من مدلولها أن هذا البعث ليس متولدا عن ذاته ، اذ لابد من باعث له ، وكما أن هذا المبعوث لا يكون باعثا فهو لا يكون مساويـــا للباعـــث فى مكانته وانما هو متحرك ومرسل بمحرك ومرسل له •

والايمان بالله وكونه هو الباعث للانسان يكشف عن آيات القدرة والعظمة ، وأن الانسان أمام قدرة الله تعالى ضعيف لا يقوى على المخالفة والله أعلم •

---

(١) سورة الجمعه آية ٢

ولا يفوتنى أن أنبه الى أن هناك بعض الكلمات المرادفة لكلمة البعث استعملها الشارع فى نفس المعنى والكلمات هى :

المعاد ـ والنشور

أولا : المعاد : المعاد لغة مصدر ميمى مأخوذ من العود وهو رجوع الشىء الى ما كان عليه أولا .

وشرعا : هو رجوع أجزاء البدن المتفرقة الى الاجتماع وحلول الروح فيها . أو بمعنى آخر هو عود الانسان بروحه وجسده الى الحياة مرة ثانية يوم القيامة .

كما قال تعالى : (كما بدأنا أول خلق نعيده) (١)

وقال تعالى : (كما بدأكم تعودون) (٢) .

وقوله سبحانه : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) (٣) .

ثانيا : النشور :

النشور لغة : قال ابن منظور فى باب نشر :

" النشر الريح الطيبة . ويقال نشر الميت بالفتح ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت " . (٤)

وشرعا : البعث والحياة بعد الموت قال تعالى (ثم أماته فأقبره . ثم اذا شاء أنشره) (٥) .

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٤
(٢) سورة الاعراف آية ٢٩
(٣) سورة البقرة آية ٢٨
(٤) أنظر اللسان لابن منظور مادة نشر
(٥) سورة عبس آية ٢٢

وقال تعالى : (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (١) .

ويؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم :

قال أبوهريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه يقول : اذا أصبح أحدكم فليقل : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور) (٢) .

رواه الترمذى وقال حديث حسن .

---

(١) سورة الملك آية ١٥

(٢) أنظر تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ج ٩ ص ٣٣٥ ط : مطبعة الاعتماد — ٣ ميدان احمد ماهر — نشر المكتبة السلفية لصاحبها عبد المحسن الكتبى بالمدينة المنورة .

ب ـ أهمية البحث فى هذا الموضوع:

ان الشعور بمسئولية الجزاء التى لا زمت البشرية من أول مراحل وجودها كما أثبت ذلك التاريخ ، وكذا الشعور بأن هذه الحياة لها نهاية يقف الانسان عندها فلا يرجع الى عالمه الدنيوى الذى قضى فيه مدة من الزمن . ان هذا الشعور قد أيقظ الانسان وبعث فيه الاهتمام بعالم غير عالمه الذى دخل اليه أول مرة أنه قد أيقظ فيه الايمان بحياة أخرى غير هذه الحياة .

ولا شك أن هذا الايمان بالحياة الأخرى يختلف من انسان الى آخر . والناس على صنفين :

صنف يعيش لحياته الدنيا وحدها راضيا بما فيها من متعة ولذة منقطعا تمام الانقطاع عن ما بعدها فهو يعيش ليومه لا لغده . يعيش بنظره القصير وفكره المحجوب عن ما وراء الحياة الدنيا ـ يعيش مقتنعا بلذة مأكله ومشربه ومسكنه وهو عن الآخرة بعيد الفكر قاصى الوجدان لا هم يؤرقه من نار جهنم ولا حزن يؤلمه من سوء العاقبة، فهو بالحيوان أشبه وبالجماد الصق لعدم احساسه وتبلده .

وهذا الصنف قد حرم نعمة الايمان بالبعث والجزاء .

أما الصنف الآخر فهم المؤمنون بعقيدة البعث . وقد شعر هذا الصنف بأهمية هذه القضية التى كانت أهم قضية تعرضت لها الأديان ودعت اليها بعد الدعوة الى توحيد الله تعالى .

ولا عجب اذا قلنا ان أهمية عقيدة البعث في المرتبة الثانية بعد قضية التوحيد على حد قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه) الخ الآية (١) .

فهذه الآية الكريمة تشيد بأهمية قضية البعث بعد قضية الايمان بالله فاذا كانت قضية التوحيد الخالص هي أشد الافكار غرابة وانكارا عند الكفار فان فكرة البعث تجيء بعدها . يدل على ذلك ماحكاه القرآن الكريم في معارضة الكفار الشديدة لهاتين القضيتين قال تعالى :

(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة الها واحدا ؟ ان هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق) (٢) .

وكذلك انكارهم للبعث كان شديدا قال تعالى حكاية عنهم : (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد . افترى على الله كذبا أم به جنّة ؟ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) (٣) .

ولما كان البعث من مقتضيات العدل الالهي لينال كل مكلف جزاءه على ما قدمت يداه كانت القضية مهمة وعميقة في النفوس البشرية عمق التاريخ الانساني نفسه .

---

(١) سورة البقرة الاية ١٧٧

(٢) سورة ص الآيات ٤ — ٧

(٣) سورة سبأ الآيات ٧ — ٨

فلا نكاد نقرأ سير العظماء وقصص الأنبياء مع أممهم الا ونجد بروز هذه القضيـــــة ٠ وهاهو ذا القرآن الكريم يحدثنا عن أنبياء الله من لدن آدم عليه السلام الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول تعالى لآدم عليه السلام : (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكـــم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ٠ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) (١) ٠

وكذا نوح عليه السلام يهتم بهذه القضية ويدعو لها قال تعالى حكاية عنـــه : (والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) (٢) ٠

وتمتد الدعوة الى الايمان بالله تعالى والايمان بالبعث والجزاء على ألسنة أنبيـاء بنى اسرائيل كلهم فيقول تعالى حكاية عن شيخ الأنبياء ابراهيم عليه السلام : (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفيـن! قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون٠ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين ٠ الـــذى خلقنى فهو يهدين ٠ والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنـى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ٠ رب هب لى حكما وألحقنـــى بالصالحيـن واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ٠ واجعلنى من ورثة جنة النعيم ٠ واغفـر لأبى انه كان من الضالين ٠ ولا تخزنى يوم يبعثون ٠ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) (٣)

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٤ ــ ٢٥

(٢) سورة نوح آية ١٧ ــ ١٨

(٣) سورة الشعراء الآيات من ٨٧ ــ ٨٩

وتمتد الدعوة من بعد ابراهيم الى أحفاده من الأسباط ثم الى موسى وعيسى عليهما السلام فيقول تعالى لموسى عليه السلام :

(ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتّبع هواه فتردى) (١) .

وفى هذا النص دلالة على الايمان بالدار الاخرة وأنها عقيدة لها الصدارة فى تعاليم موسى غير أن التوراة الحالية لم تتعرض لذلك مما يدل على تحريفها وانقطاع صلتها بموسى عليه السلام .

ويأتى عيسى بعد موسى عليهما السلام فيقرر ما قرره موسى من قبل ويؤمن به فيقول كما قال تعالى حكاية عنه : (والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (٢) .

والحقيقة أن الايمان بالبعث عقيدة راسخة من لم يعترف بها فى الدنيا فسوف يعترف بها ويشاهدها يوم الدين . يوم يقال للانسان (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (٣) نعم سيعترف الكفار بذلك كما أخبر سبحانه أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين فى آيات من القرآن — وأخبر عن أهل النار أنهم اذا قال لهم خزنتها :

(ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) (٤) .

---

(١) سورة طه الآيات ١٥ — ١٦ (٢) سورة مريم آية ٣٣

(٣) سورة ق آية ٢٢ (٤) سورة الزمر آية ٧١

وهذا مما يؤكد أهمية البحث ، وذلك ما دفعني لاختيار الكتابة فيه قاصدا اقامة الحجة على المنكرين ، وتنبيه من غرتهم المادة ففتنوا بها فأصبحوا من الغافلين ، ولأقيم البرهان العقلي والنقلي على امكان البحث وثبوت وقوعه ، ولعل ما كتبته في هذا الموضوع يكون حافزا للانسان على اعداد العدة ، وأخذ الزاد من دار المهلة — من هذه الحياة التي هي مزرعة للحياة الآخرة — والآخرة خير وأبقى — وليستعد المستعد لتلك الدار بخور الملك الحق مع النبيين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقا . قال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (١) .

نعم ليستعد من يريد الآخرة حيث أن اعتقاد البحث قوة دافعة للعمل الصالح وحسن القدوة ، كما قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) . (٢)

نعم اخترت عقيدة البحث لأهميته في التصور الاسلامي ، اذ هو قاعدة أساسية في العقيدة الاسلامية ، قاعدة تقوم عليها العقيدة ويقوم عليها التصور الكلي لمقتضيات هذه العقيدة !

فالمسلم مطلوب منه أن يقوم على الحق ليدفع الباطل ، وأن ينهض بالخير ليقضي على الشر ، وأن يجعل نشاطه كله عبادة لله . ولا بد من جزاء للعمل ، وهذا الجزاء قد لا يتم في الحياة الدنيا ، فلا بد اذا من عالم آخر ، لا بد من بعث

---

(١) سورة النساء آية ٦٩

(٢) سورة الاحزاب آية ٢١

للحساب فى عالم غير عالمه الدنيوى . وحين ينهار أساس العقيدة فى النفس ينهار معه كل تصور لحقيقة هذه العقيدة الأساسية وتكاليفها !! وعندئذ لا يستقيم الانسان على طريق الاسلام أبدا !! .

والايمان بالبعث والحشر وبالحساب والجزاء فى الدار الآخرة عنصر أصيل فى العقيدة الاسلامية . فلا صحة لعقيدة من لا يتصور البعث والجزاء ولا استقامة على منهج الله الا بهما . فلابد اذا من عالم مرتقب ! يكمل فيه الجزاء — ويتناسق فيه العمل والأجر . ويتعلق به القلب وتحسب حسابه النفس ويقيم الانسان نشاطه فى الدنيا على أساس ما يرتقبه هناك .

والذى حدث ان هذا الموضوع لم يكن ذات يوم موضوع تسليم وقبول لدى الجميع !! بل وقفت أجيال من البشرية موقفا عجيبا من هذه القضية على بساطتها وضرورتها فكان أعجب ما تدهش له أن ينبئها رسول أن هناك بعثا بعد الموت وحياة بعد الفناء . وكان فى طليعة هؤلاء الدهريون والطبيعيون من الفلاسفة .

أما الدهريون : فقد أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين أخبر عنهم الله قال تعالى : (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) (١)

وهذا الصنف سلفا وخلفا أنكروا الخالق وأنكروا البعث وقد كشف القرآن والسنة عوارهم وبينا زيف شبههم وقال تعالى : (أو لم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون) (٢) .

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٤

(٢) سورة النحل آية ٤٨

وقال تعالى : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين) (١) . وقال تعالى : (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأىّ حديث بعده يؤمنون) (٢) .

نعم ان كفرهم والحاد هم قديما وحديثا لم يقم على برهان من النقل الصريح والنظر الصحيح وانما هو بسبب غفلتهم عن عجائب قدرة الله وعجائب مخلوقاته . بل أكثرهم لا يعرفون الحق فهم له منكرون ! ! .

وأما الفلاسفة الطبيعيون — وكذا صنف من العرب الجاهليين فانهم وان أقروا بالخالق وابتداء الخلق فانهم قد أنكروا البعث والاعادة على اختلاف بينهم فى سبب الانكار . فالفلاسفة الطبيعيون اعتقدوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه وأنها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم ثم اذا انعدمت فلا تعقل اعادة المعدوم ، (٣) ومن ثم قالوا ان النفس تموت ولا تعود ، فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب والحشر والنشر . فانحل اللجام وانهمكوا فى الشهوات انهماك الأنعام وهكذا ضل الفلاسفة الطبيعيون بهذا المعتقد !

وأما العرب قبل الاسلام فكانت شبهة المنكرين للبعث منهم استبعاد اعادة الأجساد بعد فنائها واختلاطها بالتراب . كما قال تعالى : (وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون) وليس هذا موضع مناقشة المنكرين للبعث بل سوف يأتى ان شاء الله فى باب البعث فى الاسلام مفصلا .

---

(١) سورة فصلت آية ٩
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥
(٣) انظر المنقذ من الضلال للغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ص ٤١ — ٤٢ مطبعة ومكتبة الجندى بمصر
(٤) سورة السجدة آية ١٠

لما كان هناك منكرون للبعث — وكان هناك من أنكر البعث الجسماني وقال بالبعث الروحاني فقط وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون ومن حذا حذوهم من متفلسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد ومن تأثر بهم من بعض المفكرين المتأخرين فخلط في هذه البحث بحيث لا يستطيع المتأمل لاقواله أن يحكم عليه باثبات أو نفي كمحمد اقبال (١) ، وكان هناك من قال ببعث بدن غير بدن الانسان الذي كان في الدنيا ورجوع الروح اليه ، وهناك من قال : ببعث الانسان ببدنه الذي كان في الدنيا ورجوع روحه اليه بحيث لو رآه رائي لقال هذا فلان الذي كان موجودا في الدنيا .

لما كانت كل هذه الاقوال مقولة في البعث رأيت أنه يحتاج الى بحث وتمحيص وبيان واضح يستند على الأدلة العقلية والشرعية فيقر مايقره الدليل وينفي ما لا يوافق الدليل حتى يتضح أمره وتظهر فائدته التي هي مقصدنا من هذا البحث فاعتقاد البعث والجزاء ليس طريقا للثواب في الآخرة فحسب كما يظن البعض من الناس — بل هو الضياء الحافز على الخير في الحياة الدنيا والحافز على اصلاح النفس وانمائها . واذا قوى الاعتقاد كان من أقوى الدوافع والبواعث للمكلف على فعل الخيرات وترك المنكرات .

وأما اذا ضعفت هذه العقيدة أو تزعزعت في القلب أو هيمنت غفلتها على السلوك فان ذلك سيؤدي الى أمراض قتالة في الفرد وفي المجتمع . وهذه الأمراض هي ما يشيع في المجتمع الاسلامي المعاصر .

---

(١) أنظر كتابه تجديد الفكر الديني ص ٨٤ ط الأولى . وص ١٢٤ — و ص ١٣٠

فالمسلمون كثيرون اليوم .. ولكن قليل من يؤمن بالبعث والجزاء عن يقين .. قليل من يخشى ذلك اليوم ويعمل له ! !

نعم كثيرون الذين يقولون (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يقولونها بأفواههم ولكن مدلولها لا يتحقق في سلوكهم ، ولو كانوا صادقين لاهتموا بالاسلام عقيدة وشريعة . لو كانوا صادقين لعبدوا الله على بصيرة وعلم بكتابه وحسن قدوة بنبيه صلى الله عليه وسلم .

فلهؤلاء أكتب هذا البحث ولغيرهم من المنكرين الجاحدين .

والله أسأل أن يلهمنا الصواب ويرزقنا الاعتقاد الصادق بيوم البعث والحساب . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الأول

نبذة تاريخية عن البعث

فى الأديان القديمة الباطلة

ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : البعث عند قدماء المصريين

الفصل الثانى : البعث عند الفرس

الفصل الثالث : البعث عند الهنود

الفصل الرابع : البعث عند العرب قبل الاسلام

الفصـــــــل الأول

عقيدة البحث عند قدماء المصريين :

أ — موقف قدماء المصريين من البحث :

يرى الباحث فى ديانة قدماء المصريين أن عقيدة البعث عقيدة موجودة ضمن عقائدهم الأخرى . ولها عمقها فى ديانتهم ! ! وان الأمة المصرية القديمة كانت تؤمن بعودة الروح الى جسدها مرة ثانية . ولهذا فقد ترجمت اعتقادها بصنوف من الشعائر والعبادات والطقوس الدينية ! !

يقول صاحب كتاب قصة الحضارة :

كان أهم مايتميز به هذا الدين توكيد فكرة الخلود — فالمصريون يعتقدون أنه اذا أمكن أن يحيا "أوزيريس" النيل ، ويحيا النبات كله بعد موته فان فى مقدور الانسان أن يعود الى الحياة مرة ثانية) (١) .

ويؤيد هذا القول أنطون زكرى حيث ينقل عن أحد المصريين القدماء قوله : " أنا لا أموت مرة ثانية فى العالم الثانى" وهذا هو أساس الايمان وعين الاعتراف بمسئولية الجزاء والخلود . ويقول سيد قطب رحمه الله :

شهدت مصر القديمة أول فجر لليقين الدافق فى ضمير البشرية المستيقظ ، وأول عقيدة بالحساب بعد الموت على الخير والشر ، وأول جزاء عادل تلقاه الرذيلة والفضيلة . ومضى أكثر من ألفى عام قبل أن تمتد هذه العقيدة الى مكان آخر على ظهر هذا الكون المحور ! !

---

(١) قصة الحضارة لمؤلفها ول ديورانت ص١٦٢ ج ٢

(٢) الادب والدين عند قدماء المصريين — انطون زكرى ص ١٠١ — ط ١٣٤٢ هـ

ثم قال رحمه الله : فحوالى سنة ٢٦٠٠ ق٠م (أيام الأسرة الخامسة) ان لم يكن قبل ذلك — كان هناك عالم آخر يتوقعه المصريون ، وكان للخير والشر جزاء فى هذا العالم الآخر ! !

وفى هذا الوقت لم تكن هذه العقيدة قاصرة على الكهنة ورجال الدين بل انتشرت فى الأوساط الشعبية ، مما يدل على أن جذورها ترجع الى ما قبل التاريخ) ٠ (١)

ان هذه النقول عن علماء الأديان لتؤكد صحة ما نسب الى ديانة قدماء المصريين من اعتقاد البعث والجزاء وأنه حقيقة ماثلة بين أعينهم ٠ وأما ما نسب اليهم من سبق هذا التصور فى معتقداتهم فانه يفيد أنه من بقايا النبوة وآثار الوحى الذى أقام الله به الحجة على عباده قال تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) (٢) وقال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٣) ٠

فهذه الآيات تؤكد أن الله سبحانه وتعالى لم يترك أمة بلا رسول يدعوها اليه وينذرها لقاءه وأن ما طرأ على الديانة المصرية القديمة من تعدد الآلهة المحاسبين ضلال وزيغ عن فطرة الله التى فطر الناس عليها ٠ وما بقى من اعتقاد المحاسبة والبعث لدى قدماء المصريين هو من آثار ذلك الهدى ٠

ب — صفة البعث عند قدماء المصريين :

الذى يبدو أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون بعث الجسد والروح معا ، ولعلهم بنوا رأيهم على ما يأتى :

---

(١) مشاهد القيامة سيد قطب ط دار المعارف بمصر ص ١٢
(٢) سورة فاطر الآية ٢٤
(٣) سورة النحل الآية ٣٦

أولا : كانوا يعتقدون أن النفس مؤلفة من أجزاء ورمزها (با) وهو برسم طير .

ورمزوا للجسم برمز (كا) وهو برسم ذراعين مرفوعتين .

ورمزوا للروح برمز (خو) .

ورمزوا للقلب برمز (آب) .

وهذا التقسيم يصور اعتقادهم وهو تصور جسمين للانسان جسم منظور وجسم غير منظور وهو " الكا " وهو قرينة للانسان تولد معه ، وترافقه طول حياته من غير أن ترى وتحس بعد مماته . وعلى حد زعمهم كانوا يرون أن بقاء الكاء بعد الموت يتوقف على بقاء الجسم المنظور سليما ليرجع اليه الجسم غير المنظور (١) .

ثانيا : كانوا يرون أن النفس خالدة وباقية الى الأبد ، وأنها لا يطرأ عليها ما يطرأ على الجسد من التحلل .

ويؤيد هذا ما قاله " هيرودوت " من " أن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس " . (٢)

ويقول أنطون زكري : (ورد في النصوص المنقوشة على الأهرام التي يرجع تاريخها الى الأسرة الأولى : ان النفس خالدة ولا تموت أبدا) (٣) وهذا أساس في الايمان عندهم بخلود الروح .

ثالثا : لقد كانوا يعتقدون أن النفس لا تعيش الا اذا كان الجسم سليما — وسلامته هي التي تجعله صالحا لعودة الروح اليه بعد أن فارقته بالموت ، ولذا فقد بذلوا

---

(١) ، (٢) انظر كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين لانطون زكري ص ١٠٣

(٣) " " " " " " " " " ص ١٠١

أقصى الجهد في سبيل المحافظة على الجسم وجعله صالحا لحلول النفس فيه بعد الموت ؛ وهذا ما دفعهم لتحنيط الموتى ، والمحافظة على بقاء المومياء على هيئة التماسك وعدم التحلل .

يقول أبو زهره رحمه الله : وذلك لكي تعود النفس الى غلافها .

ثم قال : وقد اجتهدوا مع ذلك في اقامة تماثيل للموتى تشبه أجسامهم تمام الشبه لكي تحل فيها النفس ان كان الجسم غير صالح (١) .

قلت وهذه الأمور تدل على أنهم يؤمنون بالبعث الشامل للجسد والروح معا وما أقدموا عليه من تحنيط الموتى . والمحافظة على بقاء المومياء يؤيد القول بأنهم كانوا يؤمنون ببعث الجسد والروح لينال كل منهما جزاءه من الثواب والعقاب .

ولعل الدافع لهذا الايمان ما يشاهدونه في هذه الحياة من تنازع الخير والشر وأن الشرير قد يذهب بعافية ولم تصبه عقوبة في الدنيا وكذا الاخيار قد يذهب البعض منهم ولم ينل خيرا في الدنيا — لعل هذه الأمور التي يحسونها في واقع الحياة مما أيقظ فكرة الايمان بالبعث والجزاء عندهم اذ مقتضى الحكمة والعدل أن يبعث الانسان فيقتص للمظلوم من الظالم ويقضى للخيّر من الشرير . وهكذا .

وأمر آخر وهو ما يشاهده المصري القديم من جريان النيل وسط صحراء مقفرة وما يراه من نباتات هنا وهناك حول هذا الماء العذب الذي يجري منذ أمد بعيد لعل ذلك أيقظ ضميره فآمن بوجود خالق يدفع الماء من بعيد الى هذه الصحراء ليروي تربتها بماء عذب

---

(١) انظر مقارنات الأديان لابي زهرة ص ١٦

آمن أن من يجرى هذا الماء ويحى به الحقول وينبت به الأشجار المتناثرة عن يمينه وعن شماله قادر على أن يحيى الموتى ويبعثهم من قبورهم لينالوا جزاءهم .

وأمر آخر وهو ما عرف عن العقل البشرى وأنه أبى من فجر التاريخ أن يجعل الموت نهاية لحياة الانسان فى هذه الحياة الدنيا . بل أبى أن يذهب بالمرتى من الاقارب والأصحاب الى غير رجعه . ومن هنا أقام الانسان لأخيه المقابر وقدم القرابين ليأنس بها ذلك الميت ولتكون زلفى للمقدم نفسه .

هذا وغيره هو ما دفع المصرى القديم الى الايمان بعقيدة البعث والجزاء . ولكن هل هذا البعث والجزاء على الأعمال يرافق ما دل عليه الاسلام من أن الباعث هو الله وهو المحاسب أو هناك انحراف فى تصور قدماء المصريين للبعث ؟

الجواب :

الباعث والمحاسب فى الاسلام هو الله وحده .

قال تعالى : (ان إلينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) . فرجوع الخلق الى الله وحده وهو سبحانه الذى سيتولى حسابهم .

وأما قدماء المصريين فظنوا أن المحاسب (أوزيريس) كما اعتقدوا تعدد القضاة الى اثنين وأربعين قاضيا وهذا ضلال مبين لا يقره الاسلام .

والعبد يوم القيامة يعرض على ربه فيجازيه على أعماله ان خيرا فخير وان شرا فشر ليس الا كما قال تعالى : (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ، فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه ، انى ظننت أنى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشة راضية ، فى جنة عاليه ، قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من أوتى كتابه بشماله ، فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ماحسابيه ، يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانية ، خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) (١) .

وأما ما نسبه قدماء المصريين من كون المحاسب هو "أوزيريس" فهذا من جملة التحريف الذى اعترى الأديان القديمة الباطلة كهذه الديانة .

يقول الأستاذ عباس العقاد :

كان المصريون من أعرق الأمم التى آمنت بالروح ثم آمنت بالبعث والثواب والعقاب بعد الموت . ورمزوا للروح "كا" تارة بزهرة ، وتارة بصورة طائر ذى وجه آدمى ، وتارة بتمساح أو ثعبان ، وقالوا : ان الروح تتشكل بجميع الأشكال ولكنهم لم يقولوا بتناسخ الأرواح .

ثم قال :

ولعل اختلاف الرموز من بقايا الطواطم) (٢) .

والذى نقطع به سواء كان ذلك من بقايا الطواطم (٣) أو غير ذلك من الجاهليات ان هذا هراء وانحراف فى صلب العقيدة لا يقره كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الحاقة آية ١٨ : ٣٢

(٢) انظر كتابه الله ص ٦٤ طبعة دار الفكر

(٣) والطوطم : هو مرحلة من مراحل معبودات الوثنية

جـ — البعث عند قدماء المصريين يشمل الأخيار وغيرهم :

يرى بعض الباحثين أن البعث عند قدماء المصريين خاص بالاخيار دون غيرهم فهم الذين يرفلون فى النعيم ويتمتعون بالسعادة فى الحدائق السمارية •

يقول ول ديورانت : لا يكتب الخلود الا لأولئك الأخيار الذين لم يرتكبوا الآثام ولم يفعلوا الشر — هؤلاء الذين يجدهم أوزيريس مبرّئين من جميع الذنوب يسمح لهم بأن يعيشوا فى حقل الفيضان السعيد والحدائق السمارية حيث توجد الوفرة والأمن والدوام) (١) •

وفى نظرى أن هذا الرأى مخالف لما يعتقده قدماء المصريين من شمول البعث للمكلفين جميعا سواء الأخيار منهم أم الفجار • وهم بذلك يوافقون ما جاءت به الأديان السماوية الحقة •

يقول تعالى فى القرآن الكريم :

(ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا • لقد أحصاهم وعدهم عدا • وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) (٢) •

وأما ما نسبه مؤلف كتاب قصة الحضارة من قولهم بالبعث للأخيار دون غيرهم فهو قول ينقضه هو بنفسه اذ يقول : (وكان أوزيريس يحاسب الموتى ويزن قلب كل من يريد الركوب معه فى كفة الميزان ليتأكد من صدق قوله — والذين لا ينجون فى هذا الاختبار فى النهاية يحكم عليهم بأن يبقوا أبد الدهر فى قبورهم يجوعون ويظمئون ويطعمون من

---

(١) أنظر كتابه قصة الحضارة ص ١٦٢
(٢) سورة مريم الآيات ٩٣ — ٩٤ — ٩٥

التماسيح البشعة) (١) •

وهذا مما يدل على خلود الأخيار والأشرار جميعا فماذكره آنفا صاحب قصة الحضارة أن الخلود للأخيار دون غيرهم باطل : وهو يناقض نفسه كما ترى •

ومن هنا يظهر لنا عمق عقيدة البعث فى الديانة المصرية القديمة •

---

(١) أنظر كتابه قصة الحضارة ج ٢ ص ١٦٢

الفصل الثانـــى

عقيدة البعث عند الفرس :

أ ـ موقف الفرس من البعث :

تبرز عقيدة البعث عند الفرس فى ديانة زراد شت أول ما تبرز ٠

يقول ول ديورانت :

" يحدثنا الزراد شتيون العالمون بأن العالم يقترب من نهايته المحتومة وذلك لأن مولد زراد شت كان بداية الحقبة العالمية التى طولها ثلاثة آلاف سنة ، وبعد أن يخرج من صلبه فى فترات مختلفة ثلاثة من النبيين ينشرون تعاليمه فى أطراف العالم يحل يوم الحساب الأخير وتقوم معركة " أهورا مزدا " ويهلك أهرمان هو وجميع قوى الشر هلاكا لا قيامة بعده ، ويومئذ تبدأ الارواح الطيبة جميعها حياة جديدة فى عالم خال من الشرور والظلام والآلام فيبعث الموتى وتعود الحياة الى الأجسام ، وتتردد فيها الأنفاس ويخلو العالم المادى كله الى أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال (١) ٠ وهذا هو أساس الايمان بالبعث عند الفرس اذ يعترفون بأن للخير والشر نهاية يقضى فيها لأحدهما من الآخر فيجاز الأخيار بالسعادة والخلود ويجازى الأشرار بهلاك الهيهم " أهرمان " هو وجميع قوى الشر هلاكا لا قيامة بعده ٠

وهذا ما وعد به رجال الدين الزراد شتيون أتباعهم حيث قالوا :

ان آخر فصل من هذه المسرحية " مسرحية الحياة " سيكون خاتمة سعيدة ـ للرجل العادى ذلك أن قوى الشر ستغلب آخر الأمر ويكون مصيرها الفناء بعد أن يمر العالم بأربعة عهود طول كل منهـا ثلاثة آلاف عام يسيطر عليه فيها على التوالى (أهورا مازدا) و (أهرامان)

---

(١) أنظر قصة الحضارة (ول ديورانت ص ٤٣٥ ج ٢)

ويومئذ ينتصر الحق فى كل مكان وينعدم الشر فلا يكون له من بعد وجود ٠

ثم يدخل الصالحون الى " أهورا مزدا " فى الجنة ويسقط الخبيثون فى هوّة من الظلمة فى خارجها يطعمون فيها أبد الدهر سمّا زعافا " (١) ٠

ان هذا الكلام الذى يعد به رجال الدين الزراد شتيون أتباعهم ليؤيد القول بصدق عقيدة البعث والجزاء عند الفرس وهو قريب الشبه من عقيدة قدماء المصريين فالكل يؤمن بمسئولية الجزاء على الخير والشر ، والاختلاف فقط فى صور النعيم والجحيم ، وفى طريقة الحساب وطريقة الجزاء ٠

ب — الزراد شتية ومصير الروح :

يرى الزراد شتيون خلود الروح وبقاءها ، فالميت عندما يموت تظل روحه ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة الى جانب الجسم وهى منعمة بنعيمه أو معذبة بعذابه ، وفى فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح اما معطرة وذلك اذا كان الميت خيرا واما نتنة وذلك اذا كان صاحبها شريرا وبعد ذلك تحمل هذه الروح الى موضع آخر يلتقى فيه اما بفتاة جميلة واما بعجوز شمطاء مفزعة ، وليست الأولى فتاة حقيقة ولا الثانية عجوزا حقيقة وانما هى صورة أعمال الميت وهى ضميره الذى يقوده الى حيث معبر الحساب والحكم الأخير !

وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم (بيتهرا) وهناك ينصب ميزان توضع فى احدى كفتيه حسنات الميت وفى الأخرى سيئاته ٠

وبناء على صعود احدى الكفتين أوهبوطها يصدر الحكم على مصير الميت ٠٠٠

---

(١) انظر قصة الحضارة لول ديورانت ص ٤٣٠ ج ٢

وعلى أثر انتهاء الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر المنصوب أو الصراط الممتد فوق الجحيم الذى يتسع أمام الأخيار ويضيق أمام الأشرار •

وهؤلاء الأخيرون يهوون فى جحيم مظلم ظلاما كثيفا ومع كثرتهم وتزاحمهم فى هذه الهوة الا أن كل واحد منهم يشعر فى وسط هذا الزحام بالوحدة والعزلة • أما الأخيار : فيذهبون الى النور حيث يستقبلهم (أهورا مازدا) بعد أن يمروا فى وسط العمل الصالح والقول الخير والفكرة الطيبة وهناك يستمتعون فى كنف (مازدا) بالسعادة الأبدية •

وهذا كله خاص بمن ثقلت موازينه أو خفت أما من استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم يوضعون فى مكان فسيح بين السماء والأرض يقاسون فيه ألم الحر والبرد • ويحسون بجميع التغيرات الجوية • ويظلون ينتظرون فى أمل ورهبة الحكم الأخير) (١) •

وهذا مما يدل على عمق عقيدة البعث عند الفرس •

---

(١) انظر مشاهد القيامة لسيد قطب ص ٢١ / ٢٢

جـ — نظـرة فاحصـة :

الحق والحق يقال ان بعض هذه التصورات عن عالم الروح والجسد وعن مصيـر الانسان ، هى ما نعرفه نحن المسلمين فى كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم عـن الجزاء والحساب وعن عاقبة الأخيار والأشرار . ومما لا شك فيه أن التصورات الأخروية فى ديانة الفرس الزرادشتية قد دخلها تحريف وتغيير مشين .

فالايمان بالصراط والميزان والايمان بالجنة والجحيم كل هذه التصورات صحيحـة وانما الخطأ الذى دخل على الديانة الزرادشتية هو فى عدة أمور :

أولا : اعتقادهم فى إلهين أحدهما إله الخير والآخر اله الشر وهذا باطل اذ لا الـه الا اله واحد وهو الله سبحانه وتعالى الذى دعت اليه الأنبياء عليهم السـلام .

ثانيا : تحديد وقت الحساب وزمن البعث بعد أن يخرج من صلب زرادشت ثلاثة مـن النبيين ينشرون تعاليمه وهذا باطل اذ لا يعلم زمن قيام الساعة الا الله وحـده كما قال تعالى : (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون) (١) .

فمجىء الساعة من الغيب الذى لا يعلم زمنه الا الله .

ثالثا : اعتقادهم أن من استوت حسناتهم وسيئاتهم يكونون فى مكان بين السماء والأرض يقاسون ألم الحر والبرد فهذا كله هراء . والحق أن من استوت حسناته وسيئاتـه يوقف على الصراط بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيه (٢) .

---

(١) سورة النمل الآية ٦٥

(٢) أنظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٦ الطبعـة الحلبية عند تفسير قوله تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم)

اذ عرف هذا الانحراف الذي تطرق للاعتقاد في الديانة الزرادشتية فان الحقيقة التي تستحق التسجيل هي فكرة الايمان بالبعث والشعور بمسئولية الجزاء والتي تتضح تماما في قولهم : " ويومئذ تبدأ الأرواح الطيبة جميعها حياة جديدة في عالم خال من الشر والظلام والآلام ، فيبعث الموتى وتعود الروح الى الأجسام وتترد فيها الأنفاس "الخ (١)

ووضوحها هذا يؤكد عمق هذه العقيدة في الضمير البشري في أعمق أعماق الانسانية ، والله أعلم .

---

(١) أنظر قصة الحضارة ج ٢ ص ٤٣٥

الفصل الثالث

عقيدة البعث عند الهنود :

أ — موقف البراهمة من البعث :

الديانة الهندية كغيرها من الديانات السابقة لم تخل جانب المسألة على الخير والشر غير أنها جعلت زمن ذلك في الحياة الدنيا فهي لا تؤمن بالبعث في الدار الآخرة .

ولذا فقد آمن البراهمة بعقيدة التناسخ ، واعتبروه أصلا من أصول ديانتهم ومن لم يعتقده فلا يعتبر من أهل شرعتهم .

قال البيروني : " وكما أن الشهادة بكلمة الاخلاص شعار المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والاسبات علامة اليهود ، كذلك التناسخ فانه علم النحلة الهندية ومن لم ينتحله لم يكن فيها ولم يعدّ من جملتها . " (١)

والمراد بالتناسخ اعتقاد تجوال الروح من جسد ميت الى جسد آخر وهكذا دورات حتى يتم لها الطهر والخلاص من التنقل في الأجساد لتنطلق في النهاية وتتحد مع الذات الأقدس وتصل الى درجة النيرفانا (٢) . والنيرفانا هي الغاية المطلوبة لفوز الانسان ونجاحه ، والتناسخ هو الذي يقوم بتلك الغاية ويحققها .

والذي يلحظ في عقيدة التناسخ أنها خاصة بأولئك الذين لم تطهر قلوبهم وأما من تزكى فلا حاجة له به . فالانسان المذنب عند موته تنتقل روحه الى جسم حيوان

---

(١) أنظر تحقيق ما للهند من مقولة للبيروني ص ٣٨ الطبعة ١٣٧٧ هـ حيد رآباد الدكن

(٢) النيرفانا عند البراهمة هي الفناء في الروح الأعظم ويقول البحض هي حالة روحانية يمحى معها كل تفكير في الذاتية الشخصية

أو انسان آخر وتلاقى العذاب الوانا بحسب جرمها حتى اذا طهرت وزكت تنطلق في النهاية الى (النيرفانا) أو الروح المطلق ، وهناك يتم لها السعد وتستريح وأما من حصل لهم الطهر من أول الأمر وزكوا أنفسهم بالزهادة في الحياة والابتعاد عن الشهوات فلا يحتاجون الى التناسخ وليسوا من أهله وكذا من كان حزمهم قليلا فانهم اذا اقتلعوا بالتزهّد كل شهوات النفس يقفون عن التجوال في أجساد أخر ويتحدون بروح العالم • وبهذا الاتحاد يخلصون من العودة الى الولادة مرة ثانية. •

ب ــ موقف الهنود من الروح :

الهنود البراهمة كغيرهم من أهل الأديان القديمة يتصورون تكوين الانسان من جسد وروح ــ والاختلاف بينهم وبين غيرهم في مصير كل من الجسد والروح بعد الموت •

وسبق ان ذكرنا ان قدماء المصريين يحتفون بالجسد ويولونه جل عنايتهم ليبقى سليما من التحلل والتعفن لتعود الروح اليه بعد بعثها ولذا فقد حنطوا جثث الموتى وحافظوا على بقاء المومياء •

أما الهنود فهم على النقيض من هؤلاء فهم لا يرون لهذا الجسد المادي أي قيمة أو أدنى اعتبار ، ولذا فقد أقدموا على حرقه وتذريته في الهواء !!

أما الروح ، فان الهنود البراهمة يرون خلودها وعدم فنائها ، والتناسخ في حد ذاته وسيلة من وسائل تطهيرها وتزكيتها •

يقول باسديو (أحد قادتها) لصديقه لارجن وهوينصحه ويثبت جأشه فى الحرب :

" اذا كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن بموتى ولا ذاهبين ذهابا لارجوع فيه ، فان الأرواح غير مائتة ولا متغيرة ، وانما تتردد فى الأبدان على تغاير الانسان من الطفولة الى الشباب الى الشيخوخة التى عقابها موت البدن " (١) .

فهذا النص يفيد ايمان البراهمة بخلود الروح وبقائها بعد موت صاحبها .

وهنا نلحظ أن الديانة البرهمية تستبقى من معنى الدين الصحيح :

أولا : خلود الروح وعدم فنائها .

ثانيا : الشعور بمسئولية الجزاء وأن الانسان بقدر ما يقدم من خير بقدر ما تكون سعادته .

ونراها أيضا تزل فى عدة أمور وهى :

أولا : باعتقادها التناسخ وتجوال الأرواح .

ثانيا : انكارها للبعث بعد الموت ورجوع الروح الى جسدها الذى خرجت منه .

ثالثا : اعتقادها الحلول فى الذات الأقدس فان هذا باطل لا يقره الاسلام . بل جاء الاسلام مبشرا بالجنة والنار ووعد بهما . فالجنة دار السلام أعدها الله لمن أطاعه واتبع رسله عليهم السلام ، والنار دار العذاب أعدها الله لمن عصاه ولم يطع رسله عليهم السلام كما قال تعالى : (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد . ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما نؤخره الا لأجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد

---

(١) انظر كتاب تحقيق ما للهند من مقوله للبيرونى طبعة ١٣٧٧ ص ٣٩

فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك ان ربك فعّال لما يريد • وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) (١) •

وليس هذا موضع تفصيل الأحكام وانما استطراد لبيان أن فكرة البعث عميقة فى الضمير البشرى وان كان ذلك الاعتقاد قد شابه الانحراف والضلال كما نراه واضحا فى معتقد البراهمة ، والله أعلم •

---

(١) سورة هود الآيات ١٠٢ ـ ١٠٨

جـ — موقف البوذية من البحث :

ان موقف البوذية لا يختلف عن موقف البرهمية من البحث فالكل ينكره ولا يؤمن به على الوجه الذى أثبتته الأديان السماوية . والبوذية ديانة ناشئة ومتأخرة عن الديانة البرهمية وهى فى الحقيقة امتداد لها ، ومنشؤها هو " بوذا " واسمه " سداثنا " واسم أسرته جوتاما ، وأحيانا يطلق عليه اسم أسرته .

ومعنى بوذا : العالم .

نعم قد خلت البوذية من الايمان بالبحث الآخر ويرى البعض (١) ان بوذا هذا لا يعدو كونه مصلحا اجتماعيا يرى أن طريقة التكمل والوصول الى النيرفانا فى عدم الاكتراث بالملذات الدنيوية والآلام ويرى أن الوسيلة للوصول رياضة الشخص ارادته على هجر الملذات جملة ومجاهدتها فلا يناله الحرمان من لذة بعض الألم . بل على الشخص أن يجاهد الشهوات ويروض ارادته والعود أخضر — على ترك الذات وعلى الصبر عند حرمانها فلا يلم به ألم ! ! .

يقول الشيخ محمد أبو زهره : ان الذى نعتقده أن بوذا لم يتعرض للبحث فى الألوهية بسلب أو ايجاب ، وان مذهبه اصلاحى خلقى أكثر منه دينى ولذا لم يتعرض للاهوت) (١) .

ونضيف الى ما قال أبو زهره رحمه الله ان بوذا لم يتعرض لقضية البحث الآخر وانما يرى أن طريقة التكمل هى الوصول الى النيرفانا التى تعنى الاتحاد مع روح العالم وهى

---

(١) أنظر كتابه مقارنات الأديان لمحمد أبى زهره طبع دار الفكر العربى ص ٢٧٠

لون من السعادة يشعر المرء به بعد أداء الواجب فى هذه الحياة الدنيا . والواجب فى نظر بوذا هو عدم الاكتراث بالملذات الدنيوية وعدم الأسف والألم عند فراقها .

ويؤيد ما ذكرنا السيد قطب رحمه الله فيقول : "لا نجد فى الديانة الهندوكية ولا فى البوذية وهى ديانة طائفة من الهنود وعقيدة أهل سيلان ومعظم اليابانيين وكثير من الصينيين لا نجد فى هذه الديانات عالما آخر للحساب والجزاء انما نجد مكانه النيرفانا وان اختلفت وسائل الوصول الى ذلك بين الديانتين " (١) .

ومن هذا نفيد أن كلتا الديانتين البرهمية والبوذية ليس فيهما عالم آخر على النحو المعهود فى الديانة المصرية القديمة والديانة الزرادشتية الفارسية . وكل ما فى الديانتين البرهمية والبوذية هو تناسخ وآلام وعذاب يكفر عن السيئات فى الديانة البرهمية .

ومقاومة للشهوات ، وتجرد عن الاطماع وانسلاخ من الذاتية فى الديانة البوذية .

خلاصة مايلحظ فى الديانة البوذية :

أولا : عدم الايمان بالبعث الأخروى .

ثانيا : اعتقادهم فى النيرفانا وأنها الغاية المطلوبة من الانسان .

ثالثا : ان محاولة بلوغ النيرفانا يوحى أن البوذية تستبقى معنى من معانى الدين الصحيح وهو الشعور بالمحاسبة على الأعمال — ولكنها تضل فى تحديد "النيرفانا" غاية لمطلوبها وهو السعادة وهذا خطأ وضلال .

---

(١) انظر كتابه مشاهد القيامة طبعة بيروت الأولى ص ٢٦

وفى الحقيقة أن الأديان السماوية الصحيحة كلها قد حددت الغاية التى يجب على الانسان أن يسعى لينالها وهى رضوان الله تعالى .

وأما المصير الذى يصير اليه الانسان فانه لم يغفل أيضا فى الأديان السماوية الصحيحة وانما عين بالجنة أو النار فى الدار الآخرة ، وأنهما محل الثواب والعقاب والله أعلم .

الفصل الرابع

البعث عند العرب قبل الاسلام :

أ ـ الوثنيون : عاش العرب فى القرون الوسطى قرون الجهل والظلام والجزيرة العربية تعج بركام العقائد والتصورات الجاهلية التى تسربت من الأقطار المجاورة فمنها ما نقلته من الفرس ومنها ما تسرب اليها من اليهودية والمسيحية فى صورتهما المحرفة . وهذا كله بالاضافة الى وثنيتها الخاصة بعد ما انحرفت عن ملة ابراهيم تلك الملة التى ورثها العرب صحيحة ثم حرفوها أشنع تحريف.

وقد أشار القرآن الى تلك الانحرافات :

قال تعالى : (وجعلوا له من عباده جزءا إن الانسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟ واذا بشّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . أو من ينشّأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ؟! وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا . أشهدوا خلقهم ؟ سنكتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) (١) .

وهكذا نرى أنهم انحرفوا انحرافا شائنا فزعموا أن الملائكة بنات الله مع كراهيتهم هم للبنات ! ثم عبدوا الملائكة أو تماثيلها معتقدين أن لها عند الله شفاعة لا ترد وأنهم يتقربون بها اليه سبحانه ولم يقتصر انحرافهم فى مفهوم الذات الالهية بل تعدى ذلك فأنكروا البعث والاعادة واستبعد ذلك أكثرهم فلما بعث الله النبى محمدا صلى الله عليه

---

(١) سورة الزخرف الآية ١٥ : ٢٠

وسلم عارضوه أشد المعارضة وأقسموا بالله أنه لا يبعث من يموت قال تعالى حكاية عنهم: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) (١) .

قال الربيع بن أنس عن أبي العالية :

كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين ، فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت ؟ فقال المشرك : وانك لتزعم أنك تبعث بعد الموت ! فأقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله تعالى هذه الآية .(٢)

نعم بلغ المشركون من العرب أشد الانكار لقضية البعث وانه لغريب جد غريب حينما يقال ان عقيدة البعث في الجزيرة العربية لم تكن تعرف قبل الاسلام الا لدى أفراد قلائل ولكن ذلك هو الواقع وما شهد به التاريخ .

وتزداد الغرابة حينما يعلم أن العرب قبل الاسلام لم يكونوا وحدهم في الجزيرة العربية بل كان يوجد بجوارهم بعض أهل الكتاب ومع ذلك فقد استبعدوا وقوع البعث .

قال الشهرستاني : الفصل الثاني معطله العرب وهم أصناف :

١ — صنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة . وقالوا بالطبع المحيء والدهر المغني وهم الذين أخبر عنهم القرآن قال تعالى : وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) (٣) .

---

(١) سورة النحل آية ٣٨

(٢) أنظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٨٤ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ بتحقيق السيد احمد صقر

(٣) سورة الجاثية آية ٢٤

٢ — وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق وأنكروا البعث والاعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن بمثل قوله تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم) فاستدل عليهم بالنشأة الأولى اذ اعترفوا بالخلق الأول فقال عز وجل : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم .)

٣ — وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله فى الدار الآخرة . (١)

هذه أصناف العرب قبل الاسلام وليس المقام مقام مناقشة المنكرين ، والذى يهمنا من هذه الأصناف الصنف الأخير الذين اعتبرهم الشهرستانى الدهماء من العرب ويبقى السؤال ما معنى قول الشهرستانى : ونوع من الاعادة ؟

الذى يبدو أن هذا القول لا يحتمل أكثر من ثلاثة احتمالات :

أحدهما : القول بالتناسخ وهذا باطل فالقول بالتناسخ لا يسمى بعثا وانما هو يحمل معنى خلود الروح وعدم فنائها وليس فيه دليل على بعث الروح يوم القيامة ولو فى جسد غير جسدها . وفى قول الشهرستانى " ويرجون شفاعتهم عند الله فى الدار الآخرة " مايرد هذا المعنى .

الثانى : القول بأن مراد الشهرستانى أن هذا الصنف من العرب يؤمنون بالبعث ولا يسمى هذا نوعا من الاعادة بل هو الاعادة بعينها وانما الذى قصده المشركون من الأصنام فى يوم القيامة التوسط عند الله حتى يرحمهم أو يخفف عنهم من العذاب ! ويكون هذا شركا فى الالوهية .

---

(١) انظر الملل والنحل لعبد الكريم الشهرستانى ج ٢ ص ٢٣٥ — ٢٣٦ الطبعة الحلبية بتحقيق محمد سيد كيلانى

الثالث : أن يقال ان العرب كانوا يؤمنون بالبعث الروحانى فقط ويكون هو المراد بقول الشهرستانى ونوع من الاعادة — دون البعث الجسمانى الذى استنكره العرب أشد الاستنكار ولا سيما كبراؤهم كالعاص بن وائل وأبى بن خلف وغيرهم .!

ومهما يكن مراد الشهرستانى فالحقيقة الواضحة أن شبهة استنكار البعث الجسمانى من أعظم الشبه التى كان يلوكها المشركون فى استبعاد البعث ، ولذا فقد كانت صيغ الإخبار فى القرآن الكريم عن المنكرين للبعث بلفظ قالوا : كما قال تعالى :

(وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) (١)

وقال تعالى : (وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد) (٢)

وغير ذلك من الآيات .

نعم المنكرون للبعث من العرب كثيرون ولكن قضية الايمان بالبعث كانت متمثلة فى الحنفاء من العرب وهذا مما يؤيد عمق هذه القضية فى الضمير البشرى النقىّ ، وأما هذا الكفر الذى ساد أكثر العرب فهو بسبب تغير القوم عن منهاج النبوة الأولى بعد انحرافهم عن دين ابراهيم عليه السلام .

---

(١) سورة الاسراء آية ٤٩

(٢) سورة السجدة آية ١٠

ب — البعث عند الحنفاء من العرب :

أما الحنفاء من العرب فانهم قد آمنوا بالبعث والحساب فى الدار الآخرة وعقيدتهم فيه واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار وهذا مما يشهد لعمق هذه القضية وتأصلها فى القلوب مع ما يكتنفها من الغفلة والشبهة .

قال الشهرستانى : ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فممن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيف وينتظر المقدم النبوى :

أولا : زيد بن عمرو بن نفيل وكان يسند ظهره الى الكعبة ويقول :

(أيها الناس هلموا الى فانه لم يبق على دين ابراهيم أحد غيرى) .

وسمع أمية بن أبى الصلت يوما ينشد :

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور

فقال صدقت

وعبر عن ايمانه بالبعث واليوم الآخر شعرا فقال :

فلن تكون لنفس منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر

ثانيا : قس بن ساعده الايادى كان يؤمن بالبعث والحساب ويعظ الناس ويذكرهم به فيقول :

(كلا ورب الكعبة ليعودن ماباد ولئن ذهب ليعودن يوما)

وأنشد فى معنى الاعادة أبياتاً تدل على عمق ايمانه بالبعث والحساب فى يوم القيامة وشدة تذكره لتلك الساعة التى يخلو فيها الانسان بماقدمت يداه فيقول :

يا باكى الموت والأموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق

دعهم فان لهم يوما يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصعق

حتى يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا

منهم عراة ومنهم في ثيا بهم منها الجديد ومنها الأزرق الخلق (١)

وقص بهذه الأبيات يتحدث عن البعث وان للانسان الميت في قبره زمنا معين ثم يصاح به فيخرج من تلك الأجداث الى موقف الحشر ثم نراه أيضا يصف المبعوثين بعد البعث فيتصور ان منهم من يبعث في ثيابه الجديدة التي دفن بها ومنهم من يبعث عريان كما خلقه الله تعالى ، وهذا فهم منه لحالة الخلق عند البعث والذي يؤيده الدليل أن الموتى يحشرون جميعا حفاة عراة غرلا كما جاء في الحديث الصحيح ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بموعظة فقال :

(يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين . ألا وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام) الحديث (٢) .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام " دليل على أن الكسوة بعد الحشر ومعرفة المصير والله أعلم .

ثالثا : ومن هؤلاء الحنفاء :

عامر بن الظرب العدواني ، وكان عامر ممن عمر الايمان بالله وباليوم الآخر قلبه وكان ينصح الناس ويوصيهم بالطاعة والايمان ومن ذلك قوله :

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥٤٢

(٢) مسلم — صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٩٤ ط المطبعة المصرية ومكتبتها

انى ما رأيت شيئا قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ، ولا جائيا الا ذاهبا ، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء ثم قال :

انى أرى أمورا شتى وحتى ، قيل له : وماحتى ؟ قال : حتى يرجع الميت حيا ، ويعود لا شيء شيئا ، ولذلك خلقت السموات والأرض" فتولوا عنه ذاهبين " وقال : " ويل انها نصيحة لو كان من يقبلها" .(١)

وفى الحقيقة ان هذا الايمان يعبق بالصدق ويفيض بالطمأنينة . فهو يؤمن بأن المميت هو الله الخالق وليس الداء هو المميت كما أن الدواء ليس هو المحى وانما الذى يفعل الحياة والموت شيء خارج عنهما وهو الله .

رابعا : زهير بن أبى سلمى المزنى . كان من أمره العجب يقول الشهرستانى (٢) كان يمر بالحضاة وقد أورقت بعد يبس ، فيقول : لولا أن تسبنى العرب لآمنت أن الذى أحياك بعد يبس سيحيى العظام وهى رميم " قلت ولم يقف عند هذا الهاجس بل أعلن ايمانه فى أبيات من قصيدة له فقال :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٢٤٢

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٤٤

خامسا : علاف بن شهاب التيمي : كان يؤمن بالبعث والجزاء يقول في ذلك :

ولقد شهدت الخصم يوم رفاعه ... فأخذت منه خطه المقتال

وعلمت أن الله جازٍ عبده ... يوم الحساب بأحسن الأعمال

وفي الحقيقة ان هذه الصور الرائعة والنماذج المؤمنة بعقيدة البعث والجزاء والمؤمنة في عهد انتشرت فيه الوثنية انتشارا حول صفاء العقائد الى كدر ، وحول اليقين الى الشك والهدى الى ضلال ، في الحقيقة ان ذلك مما يدل على عمق هذه العقيدة العادلة في الضمير البشري وأن ذلك نداء الفطرة المتجاوب مع اصداء الوحي وان بعد تاريخه ! !

ويبقى الأمر قديما وحديثا على حد قوله سبحانه : (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١) .

سادسا : قال الشهرستاني وكان بعض العرب اذا حضرته الوفاة يقول لولده : " أدفنوا معي راحلتي حتى أحشر عليها فان لم تفعلوا حشرت على قدمي " . من هؤلاء الذين اعتقدوا الحشر على المطايا :

أ — ضريبه بن الاشم الأسدي : كان يوصي أبناءه بذلك فيقول :

يا سعد اما أهلكن فانني ... أوصيك ان أخا الوصاه الأقرب

لا تتركن اياك يعثر راحلا ... في الحشر يصرع لليدين وينكب

واحمل أباك على بعير صالح ... وابغ المطية انه هو أصوب

ولعل لي فيما تركت مطية ... في الحشر اركبها اذا قيل اركبوا

---

(١) سورة الصف آية ٨

ب — عمرو بن المتمنى : كان يعتقد البعث ويرى الحشر على المطايا . ولذلك أوصى أبناءه بعد موته فقال :

أبنى زودنى اذا فارقتنـــــى ... فى القبر راحلة برحل قاتـــــر (١)

للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا ... متساوقين معا لحشر الحاشـر

من لا يوافيه على عشرائـــــه ... فالخلق بين مدفـع أو عاثـــر

وهذه الأبيات ترجمة لايمانه العميق بالبعث وان من زود من الموتى براحلة سوف يبعث عليها ولذا فقد وصى بأن يزود براحلة جيدة وهذا فهم منه لحال الحشر .

ودفن المطايا ليحضر الموتى عليها مرفوض شرعا ، وان كان قد ورد أن الناس قـــد يحشرون على المطايا مثل ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قـــال : (يحشر الناس على ثلاثة طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا)(٢) .

ثانيا : ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفا مشاة وصنفا ركبانا ، وصنفا على وجوههم) الحديث (٣) .

ولكن الهيئة التى يحشر بها الراكبون بعيدة عن التصور الجاهلى الذى سيطر على عمر بن المتمنى الذى ذكرنا خبره ...

---

(١) رجل قاتر : جيـــد

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٩٤

(٣) الترمذى بشرح تحفة الأحوذى ج ٨ ص ٥٨٧ ط عبد المحسن الكتبى

ثالثا: ما رواه أبو ذر رضى الله عنه قال: ان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حدثنى: ان الناس يحشرون ثلاثة أفواج: فوجا راكبين طاعمين كاسين، وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم الى النار، وفوجا يمشون ويسعون) (١).

قلت وهذه الأحاديث تشير الى أن الناس يحشرون على مطايا وهى مسألة خلافية، فمن العلماء من قال: ان الحشر على هذه الصفة لا يكون الا فى الدنيا (٢) وقال قوم انه يوم القيامة. وذكر الشعرانى فى مختصر التذكرة ان ابن عباس قال بذلك وقال ان هذه (الأعجوبة من نجائب أهل الجنة) (٣).

وعلى أية حال كان البعث والحشر فليس هذا الموضع موضع التحقيق فى هذه المسألة والمهم أن نعرف عمق قضية البعث عند هؤلاء الحنفاء من العرب ونوع من الاعتراف بها عند غيرهم.

---

(١) النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى جـ ٤ ص ١١٦ ط دار احياء التراث بيروت

(٢) كالنووى أنظر صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٩٤ — ج ١٧

(٣) انظر مختصر تذكرة القرطبى للشعرانى ص ٥٧ ط دار الوعى بحلب

البـــاب الثانـــــى

البعث فى الأديان السماوية السابقة للاسلام

الفصل الأول : عقيدة البعث فى اليهودية

الفصل الثانى : عقيدة البعث فى المسيحية

الفصـــل الأول

البحث في اليهوديـــة :

أ - تعريف باليهودية الحقة وموقفها من البحث :

اليهودية دين سماوى قديم ،واليهود هم أتباع موسى عليه السلام ،وعقيدتهم الأصيلة عقيدة الهية صحيحة تؤمن بالله الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وتؤمن باليوم الآخر .

وكتاب اليهود الذى أنزله الله هو التوراة وهو كتاب مقدس أيضا . ومعروف أن اليهود من سلالة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام وهم الأسباط الذين تحدث عنهم القرآن الكريم وأخبر الله أنه أنعم عليه نعما كثيرة وأكرمهم وخصهم بمزيد من وافر فضله ،وفضّلهم على أهل زمانهم ،وأرسل اليهم رسلا كثيرين مبشرين ومنذرين يذكّرونهم لقاء الله ويخوّفونهم أليم عقابه ،وأنزل التوراة على موسى عليه السلام فيها هدى ونور كما قال تعالى : (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) (١) .

وعهد الى أحبارهم ومعلميهم حفظها وتبليغها كما قال تعالى : (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربّانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (٢) .

ولكن اليهود لم يقبلوا هدى الله وكثر منهم العناد والمخالفة فوعظهم الله مواعظ كثيرة فلم يستقيموا على الطريقة ولم يتّبعوا النور الذى أنزل ،بل انحرفوا عنه وحرّفوا التوراة وبدّلوا تعاليمها ،وغلوا في عداوة أنبيائهم ،واغتالوا كثيرا منهم

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٥
(٢) " المائدة " ٤٤

وصدوا عن سبيل الله كثيرا ، فكان أن عاقبهم الله عقابا شديدا ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله .

البعث عند اليهود في القرآن الكريم :

القرآن كتاب الله المهيمن على ما قبله من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل . تحدث عن اليهودية في صورتها الصحيحة وأنها دعوة الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ودعوة الى الايمان باليوم الآخر .

ومن الادلة على ذلك :

أولا : قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم :

(انّا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا) (١) ولما كانت العقائد وأصول الدين واحدة عند جميع الرسل وان اختلفت الشرائع وعلم أنّ مما أوحاه الله الى محمد صلى الله عليه وسلم الايمان بالبعث والدعوة اليه ، وهو من العقائد وأصول الدين بل من أركان الدين الثلاث التي دعا اليها الرسل جميعا (٢) ، اذا علم ذلك علم أن أنبياء بني اسرائيل أيضا قد دعوا اليه أمتهم وآمنوا به .

ثانيا : قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتّبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) (٣) .

وآباء يوسف عليه السلام أنبياء يؤمنون بالله واليوم الآخر .

ثم نراه يبتهل في آية أخرى معلنا ايمانه ملتجئا الى ربه وليّه في الدنيا والآخرة وهو

---

(١) سورة النساء آية ١٦٣

(٢) وهي الدعوة الى الايمان بالله — والدعوة الى الايمان بالبعث والدعوة الى العمل الصالح

(٣) سورة يوسف آية ٣٧/٣٨

الله قال تعالى : (رب قد آتيتنى من الملك وعلّمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولىّ فى الدنيا والآخرة توفّنى مسلما وألحقنى بالصالحين) (١) .

ثالثا : ماحكاه الله تعالى من قوله لموسى عليه السلام نبىّ بنى اسرائيل الأكبر ومنقذهم من فرعون وقومه . قال تعالى : (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، انّ الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها واتّبع هواه فتردى) (٢) .

ففى هذه الآيات دعوة صريحة لموسى عليه السلام بأن يعبد الله وحده ويؤمن بأنّ الساعة آتية وأنه سبحانه أخفاها حكمة منه ليستعد الانسان لها بالعمل الصالح فى كل أوقات حياته ، ولينال جزاءه على ما قدمت يداه !

ثم ينهى الله نبيه أن يطيع من يصدّ عن الايمان بها ممّن اتبع هواه ولم يتبع الوحى .

رابعا : ويدل على أصالة العقيدة البعث عند اليهود قبل التحريف ماتحدّث عنه القرآن الكريم من أنّ أحد أتباع موسى عليه السلام كان يؤمن بالبعث والدار الآخرة ويرى زهادة الدنيا وقرب زوالها قال تعالى : (وقال الذى آمن يا قوم اتّبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وانّ الآخرة هى دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى الاّ مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) . (٣)

وهكذا يستطرد فى بيان تفاهة الدنيا ويخوّف قومه من عذاب النار ويذكّرهم بعظمة الايمان وقيمته فيقول :

---

(١) سورة يوسف آية ١٠١

(٢) سورة طه الآيات ١٤ / ١٥ / ١٦

(٣) سورة غافر آية ٣٨ - ٤٠

(ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار • تدعوننى لأكفر بالله وأشـــرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفّار • لا جرم أنمـا تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ،وأنّ مردّنا الى الله وأنّ المسرفين هم أصحـــاب النار) (١) •

نعم انه الايمان بالله وباليوم الآخر • الايمان بالجزاء وحسن العاقبة للأخيـار وسوء العاقبة للأشرار !!

الايمان وعند من ؟ عند مؤمن آل فرعون أحد أتباع موسى عليه السلام ،وهذا مما يؤكـد لنا أن موسى عليه السلام دعى قومه لهذه القضية وهذا الركن العظيم من أركان الدين •

خامسا : يشير قوله تعالى حكاية عن امرأة فرعون : (اذ قالت رب ابن لى عنـــدك بيتا فى الجنة ونجّـنى من فرعون وعمله ونجّنى من القوم الظالمين) (٢) •

يشير الى أصالة الايمان بالبعث فى العقيدة الموسوية ،وأنّ امرأة فرعون ممن آمـــن بذلك وها هى تطلب مجاورة ربها فى الجنة دار الجزاء والنعيم فى الدار الآخرة •

سادسا : ماثبت فى القرآن الكريم انه كان من بينهم فى عصر النبى محمد صلى الله عليه وسلم بعض أفراد عصمهم الله من زيغ العقيدة فآمنوا بماجاء فى التوراة الصحيحة التى أنزلها الله على موسى • وأتيح لهم الاحتفاظ بجميع أسفارها أو ببعضها نقيّـة وسليمة من التحريف قال تعالى : (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ،أولئك لهم أجرهم عند ربهم ،ان الله سريع الحساب) (٣) •

---

(١) سورة غافر آية ٤٠ / ٤٣
(٢) سورة التحريم آية ١١
(٣) سورة آل عمران آية ١٩٩

ويقول تعالى فى آية أخرى : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) (١) . وهؤلاء المؤمنون وان كانوا أفرادا قلائل لكنهم احتفظوا بما ورثوه من أسلافهم من الايمان بالله والايمان باليوم الآخر الذى دعت اليه الرسل ، وأنزلت به الكتب جميعها .

ويبقى سؤال يفرض نفسه :

هل بقى هذا المعتقد الحق فى الديانة الموسوية المعاصرة التى تعتمد فى عقائدها وشرائعها على كتب العهد القديم الموجودة اليوم لدى اليهود أو لا ؟

ب — البحث عند اليهود فى العهد القديم :

تعريف بالعهد القديم :

العهد القديم هو الكتاب المقدس عند اليهود ويحتوى على تسعة وثلاثين سفرا أطلق عليها فى العصور المسيحية اسم العهد القديم للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها اسم العهد الجديد .

وهذه الأسفار يعتبرها اليهود أسفارا مقدسة أى موحى بها من عند الله ، ويرى اليهود أنه يجب على اليهودى أن يعمل بما فيها من عقيدة وشريعة .

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام :

(القسم الأول) : الأسفار الخمسة المنزّلة على موسى وهى التوراة فى نظر اليهود وهذه الأسفار :

أولا : سفر التكوين وهو يتحدث عن تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض الى استقرار أولاد يعقوب أو اسرائيل فى أرض مصر مع تفصيل فى قصص آدم وحواء ونوح والطوفان

---

(١) سورة البقرة آية ١٢١

ونسل سام (أحد أبناء نوح ،وهو الذى انحدر منه شعب بنى اسرائيل) وقصص ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط •

ثانيا : سفر الخروج : ويتحدث عن تاريخ بنى اسرائيل فى مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بنى اسرائيل وتاريخهم فى مرحلة التيه التى قضوها فى صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاما • وبجانب هذا القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة فى العبادات والمعاملات والعقوبات وغيرها •

ثالثا : سفر التثنية : أما هذا السفر فقد تحدث فى معظمه عن أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات وهلم جرّا • وسمى " التثنية " لأنه يعيد ذكر التعاليم التى تلقّاها موسى من ربه وأمر بتبليغها الى بنى اسرائيل •

رابعا : سفر اللاويين : وقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما تعلّق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور •

واللاويون من نسل " لارى " أو " ليفى " أحد أبناء يعقوب • وقد نسب هذا السفر اليهم لكونهم المشرفين على هذا النوع من العبادات والمعاملات •(١) !

خامساً : سفر العدد .

(القسم الثاني) : الأسفار التاريخية وهى اثناعشر سفرا تعرض لتاريخ بنى اسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى فلسطين ، وتفصّل تاريخ قضاتهم وملوكهم والحوادث البارزة فى شئونهم وهى :

١ ـ أسفار يوشع (١٣)
٢ ـ القضاه (١٨)
٣ ـ راعوث (١٩)
٤ ـ صموئيل (٢٠)

---

(١) أنظر الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام تأليف الدكتور على عبد الواحد وافى ص ١٤ • ط دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ـ القاهرة

٥ ـ سفـــــران (٢١)
٦ ـ الملـــــوك (٢٢)
٧ ـ سفـــــران
٨ ـ أخبار الأيـام
٩ ـ سفـــــران (٢٢)
١٠ ـ عـــــزرا (٢٣)
١١ ـ نحميـــــا (٢٤)
١٢ ـ واستيـــــر (٢٥)

(القسم الثالث) : أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية • وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى مؤلفة تأليفا شعريا فى أساليب بليغة • وعددها خمســـــة أسفـــار وهـــى :

١ ـ سفر أيوب (٢٦)
٢ ـ مزاميـر داود
٣ ـ أمثال سليمـان
٤ ـ الجامعه من كلام سليمان
٥ ـ نشيد الأناشيد لسليمان

(القسم الرابع) : أسفار الأنبياء • وعددها سبعة عشر سفرا وهى :

١ ـ أسفـار أشعيـاء
٢ ـ أسفـار أرميـاء
٣ ـ أسفار مراثى أرمياء
٤ ـ أسفار حذقيـال
٥ ـ أسفار دانيـال
٦ ـ أسفـار هوشـع
٧ ـ أسفـار يوئيـل
٨ ـ أسفـار عامـوس
٩ ـ أسفـار عوبديـا
١٠ ـ أسفـار يونس أو يونان
١١ ـ أسفـار ميخـا
١٢ ـ أسفـار ناحـوم
١٣ ـ أسفار حبقـوق
١٤ ـ أسفـار صفينـا
١٥ ـ أسفـار حجـى
١٦ ـ أسفـار زكريـا
١٧ ـ أسفـار ملاخى أو ملاخيـا

وبعد أن عرفنا عدد أسفار العهد القديم ، فان هناك حقيقة لابد أن يعرفها القارئ وهي أن هذه الأسفار جميعها كتبت بعد عهد موسى عليه السلام •

و " القسم الأول" منها التي ينسبها اليهود الى موسى عليه السلام ويعتقدون أنها بوحي من الله وأنها تتضمن التوراة يرى الباحثون من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها يرون من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام ، بأمد غير قصير ، وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر (قبل الميلاد) وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألفا حوالي القرن التاسع (قبل الميلاد) ، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع (قبل الميلاد) ، وأن سفر العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع (قبل الميلاد) •

وهذا مما يدل على انقطاع سندها دون موسى عليه السلام • واذا ورد احتمال انقطاع السند ووقعت شبهة الوضع من البشر فان ذلك ولا شك مجال زيادة ونقصان في عقائدها وشرائعها ، اذ العصمة لم تكتب لانسان الا من استثنى الله كالأنبياء •

ونعود للموضوع فنقول :

<u>البعث عند اليهود في العهد القديم :</u>

عرفنا مما سبق أن قضية البعث والجزاء ركن من أركان الأديان الذي جاءت به الرسالات السماوية من عند الله ، فهي لم تغفل هذا الجانب العقدي بل جعلته أحد قضاياها التي تدعو الناس اليها •

واليهودية واحدة من الأديان السماوية دعت بني اسرائيل الى الايمان بالله الواحد ، ودعتهم الى الايمان باليوم الآخر ، ودعتهم الى العمل الصالح •

ولكن الباحث المدقق حينما يستعرض القسم الاول من أسفار بنى اسرائيل (التوراة بأسفارها الخمسة) لا يجد فيها ذكرا لليوم الآخر وكل مافيها من ثواب وعقاب أو وعد ووعيد فانما هو جزاء مادى يناله الانسان على مسرح هذه الحياة الدنيا وأما الجزاء الأخروى ، فهى خالية من ذكره • وهذا بلا شك مما يدل على تحريفها وتغييرها !!

وهذه الحقيقة قد لحظها علماء الأديان من المسلمين •

يقول العقاد : " قد خلت الكتب الاسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر فالارض السفلى أو الجب أو شيول هى الهاوية التى تأوى اليها الأجسام بعد الموت ولا نجاة منها لميت وأن الذى ينزل للهاوية لا يصعد • (١) •

ويقول الدكتور على عبد الواحد وافى : " اليهودية فى أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار كما ينبىء بذلك القرآن الكريم • ولكن أسفار العهد القديم التى بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه " (٢) •

ويقول الدكتور محمود بن الشريف تحت عنوان : اليوم الآخر فى أسفار اليهود : " ان المتتبع للتوراة المتداولة والمستقرىء لآياتها والقارىء لأسفارها لا يكاد يجد فيها ذكرا للروح ولا للروحانية ، ولا لليوم الآخر ومايحفل به من جزاء ومثوبة ••• !! فليس أدل على تحريفها من أنها خلت أو كادت من كل هذا • والكتب السماوية من ركائزها الدعوة الى التوحيد الالهى والدعوة الى الايمان الأخروى ، فاذا ماخلت التوراة من هذه الركائز أو من احداها فهى ليست توراة الله ، بل هى ألعوبة المحرفين هى أوراق المزيفين " الخ • (٣) •

---

(١) أنظر كتابه (الله) ص ١٠٩ ط دار المعارف بمصر الطبعة السادسة
(٢) انظر كتابه الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ص ٣٤
(٣) انظر كتابه الأديان فى القرآن ص ١٠٧ الطبعة الثانية

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

" فأما فى العهد القديم كتاب اليهود الأول فلا نجد ذكرا للعالم الآخر بتاتا . ومن السياق كله نفهم أن الجزاء على الشر كان يتحقق فى الدنيا بالقياس الى الأفراد والى الجماعات (١) ".

قلت : وماذهب اليه هؤلاء الجهابذة من العلماء هو واقع التوراة الموجودة حاليا بأيدى اليهود ضمن الكتاب المقدس وهى خالية تماما من أية اشارة الى الروحية والايمان بالمغيبات مما يدور فى الحياة الآخرة بل قد اتجهت بهم طبيعتهم المادية من حيث لا يشعرون الى أن يكون التحريف ماديا دنيويا ليوافق طبيعتهم البعيدة عن الروحانية ، ويؤيد ذلك ما جاء فى سفر الخروج ـ الاصحاح العشرين الآية الثالثة عشرة من الأمر بالاحسان الى الوالدين والبر بهما لأن ذلك يوسع فى الأرزاق ، ويطيل الآجال : فقال :

(أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب الهك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ... الخ) .

وما جاء فى السفر نفسه من النهى عن اضطهاد الغريب وايذائه والنهى عن الاساءة الى الأرملة واليتامى لأن الله يسمع صوت بكائهم فيغضب فيقتص لهم ممن يؤذيهم قال : (ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر ـ لا تسىء الى الأرملة ، ولا اليتيم ان أسأت اليه فانى ان صرخ الىّ أسمع صراخه فيحمى غضبى ، وأقتلكم بالسيف فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى) (٢) .

---

(١) أنظر كتابه مشاهد القيامه فى القرآن الكريم ص ٣٠

(٢) أنظر سفر الخروج الاصحاح ٢٢

وهذه النصوص تشير الى أن الجزاء دنيوى فقط وأن المطيع يحصل له النصر في الدنيا والسلامة من الأذى ، وأما العاصى فانه يعاقب بالخزى والآلام والمتاعب ويقتص منه فى الحياة الدنيا • ويؤيد هذا ماذكره ول ديورانت بقوله :

" لم يكن فى هذا الدين — يعنى اليهودية — جحيم يخصص لعقاب المذنبين ولكن " شيول " أو " أرض الظلام " التى تحت الأرض ولم تكن تقل هولا عن هذا الجحيم • وكان يلقى الموتى جميعهم الطيب منهم والخبيث لا يستثنى منهم الا المقربون الى الله كموتى " انوك وايليا " الى أن يقول : " ان اليهود قلما كانوا يشيرون الى حياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد فى دينهم شىء عن الخلود ، وكأن ثوابهم وعقابهم مقصوران على الحياة الدنيا ، ولم تدر فكرة البعث فى خلد اليهود الا بعد أن فقدوا الرجاء فى أن يكون لهم سلطان فى هذه الأرض (١) •

نعم انه ليس فى التوراة ذكر لليوم الآخر ولا ذكر لحياة بعد الموت وأما قوله : " ولم يرد فى دينهم شىء عن الخلود " فهذا باطل ان قصد بذلك الدين السماوى المنزل من عند الله والمنزل فى التوراة الحقيقية •

وأما ان قصد فى كتبهم المحرفة " العهد القديم " فهو كلمة حق شهد بها النقاد المحايدون •

البعث عند اليهود فى بقية الأسفار :

ظهر لنا مما تقدم أن الأسفار الخمسة لم تذكر شيئا عن عقيدة البعث ولا عن الحياة بعد الموت وكل ما فيها من جزاء فهو دنيوى مادى يقع فى هذه الحياة العاجلة • وأما بقية الأسفار فان المتتبع لها يجدها تشير فى بعض نصوصها الى عقيدة البعث

---

(١) انظر قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٥

والجزاء فى الدار الآخرة ولكنها فى الحقيقة اشارة محتملة أيضا قد يفهم منها أن المراد بذلك هو يوم من أيام الدنيا ينتصر فيه اليهود على أعدائهم ويجتمعون فى أرض أورشليم • وقد يفهم منها أن ذلك اليوم هو يوم القيامة •

ومن هذه الاشارات :

أولا : ماجاء فى سفر أشعيا اذ يقول : (ويقال فى ذلك اليوم ، هو ذا هذا الهنا انتظرناه فخلصنا ، هذا هو الرب انتظرناه ، نبتهج ونفرح بخلاصه ، لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل ويداس " موءاب " فى ملئه كما يداس التبن فى ماء المزبلة ، فيبسط يديه فيه كما يبسط السابح ليسبح ، فيضع كبريائه مع مكايد يديه • وصرخ ارتفاع أسوارك يخفضه يضعه ، يلصقه بالأرض الى التراب) (١) •

ويقول فى السفر نفسه : وفى ذلك اليوم يغنى بهذه الاغنية فى أرض يهوذا ، لنا مدينة قوية • يجعل الخلاص أسوارا ومترسة ، افتحوا الابواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة) (٢) •

والذى يبدو أن هذه الاشارة فى يوم من أيام الدنيا وأنه انتصار اسرائيل على عدوه موءاب •

ثانيا : ما ورد فى سفر دانيال حيث قال : (وفى ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة الى ذلك الوقت ، وفى ذلك الوقت ينجى شعبك ، كل من يوجد مكتوبا فى السفر وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هوءلاء الى الحياة الأبدية وهوءلاء الى العار للازدراء الأبدى • الى أن قال أما أنت فاذهب الى النهاية

---

(١) الاصحاح ٢٥
(٢) الاصحاح ٢٦

فتستريح وتقوم لقرعتك فى نهاية الايام) (١) .

واشارات سفر دانيال هذه هى أصرح الاشارات وأدلها على البحث الآخر ففى قولـــــه :

(وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء الى الحياة الأبدية وهؤلاء الى العار الأبدى) نص واضح أن الناس يبعثون . فالأخيار ينعمون فى حياة أبدية والأشرار يقومون فى عار أبدى !!

وفيه أيضا دلالة على انبعاث فكرة البحث فى الضمير اليهودى .

وسفر أشعيا وسفر دانيال وان كانا متأخرين عن التوراة لأن سفر أشعياء فى القـــــرن الثالث (ق . م) وسفر دانيال فى القرن الثانى (ق م) ولكنهما مع تأخرهما وجدت فيهما فكرة البحث .

<u>هل هذه الفكرة ذاتية أو هى مأخوذة عن الأديان السابقة لليهودية كديانة قدماء المصريين والفرس ؟</u>

الذى يبدو لى أن فكرة البحث عند اليهود ذاتية وليست مكتسبة من الأديان السابقة وأن ما وجد من أشارات هى بقية من آثار الدين الصحيح الذى جاء به موسى عليه السلام وبقية اخوانه من أنبياء بنى اسرائيل والتى جاءت صريحة فى التوراة قبل أن تصل اليها يد التحريف من بنى اسرائيـــل . ويدل على ذلك عدة أمور منها :

<u>أولا :</u> واقع الحياة وما يشاهده العيان من أن الشر قد يذهب بعافيه فلا يقتص لمظلوم من ظالم .

وكذا الخير والمعروف قد يذهبان بدون جزاء بل قد يحصل لأهلهما الابتلاء وكدر العيش . وهذا ينشىء فى النفس البشرية تساؤلات ، واستفسارات !!

---

(١) الاصحاح الثانـــى عشر

اذ كيف يعقل من رب حكيم عادل أن يترك الشر يستأسد ،والحق يضمر فى نفوس أصحابه ثم يذهب الجميع بغير جزاء وبغير حساب !!

واليهود وان غلبت عليهم المادية وطغت على جميع تصوراتهم لكن هناك بعض النفوس أخذ الصراع يبرز فى ضمائرها لتقارن بين العقيدة العقيمة وبين واقع الحياة المشهود .

نعم قد بدأت مراحل تفكير بنى اسرائيل الدينى عندما بدأت الشكوك تتسرب الى الاعتقاد القائل بأن الرجل الصالح المستقيم يلقى فى حياته المثوبة العاجلة لاستقامة طريقه وسلامة طويته ،وأن من يجانب الصلاح ويقترف الاثام من شعب اسرائيل يحل به العقاب ،وينال الجزاء الوفاق ،فقد لوحظ أن حقائق الحياة اليومية وحوادثها المتواترة المألوفة لا تؤيد هذا الاعتقاد الضعيف ،ولا تؤكد أن الشرير يلقى جزاء شره ، وأن الخيّر يثاب على ما قدمت يداه (١) .

نعم بدأت مراحل التفكير الدينى عند بنى اسرائيل وبدأ الصراع فى الضمير اليهودى بدأ ذلك بعد كتابة العهد القديم وبعد تمكن المحرفين من اثبات تحريفهم . يقول سيد قطب رحمه الله : " أخذت هذه المسألة (٢) تشغل العقول ،وتقلق النفوس وتثير الخواطر ،فهل يشك فى العدالة الالهية ،أو أن هناك فى وقائع الحياة ،وحركات الكون عدالة تخفى عن العين وتدق عن الفكر متوارية فى هذا الظلم البادى ،وبذلك تتسع آفاق فكرة العدالة ،وتسمو وتكتسح ما فى طريقها من الاعتراضات التى تنم عن النظر الكليل والفهم القاصر .(٣)

---

(١) انظر مشاهد القيامه لسيد قطب ص ٣١

(٢) يعنى مسألة كون الشر والخير يذهبان بدون مجازاة أو بمجرد مجازاة دنيوية قد تتحقق أولا تتحقق

(٣) نفس المصدر ص ٣١

قلت : وهذا من الأسباب التي كونت فكرة البعث عند اليهود .

ثانيا : ان قضية البعث مع ما تعرضت له التوراة من التغيير والتبديل لم تنمح من بعض الأذهان اليهودية بدليل أن هناك بعض اليهود الموجودين في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر وكانوا يعرفون صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم ، كانوا يعرفون ذلك مع أن التوراة التي بأيدي اليهود والسائدة بينهم أحبارهم كانت محرفة ، وهذا يدل على أن هناك بعض النسخ السليمة من التحريف ، أو أن أولئك الأحبار الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما أنزل اليهم قد أخذوا ذلك عن طريق التلقي من سبقهم ..!!

قال تعالى ممتدحا المؤمنين من أهل الكتاب :

(وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) (١) .

ووجه الدلالة في هذه الآية : أن الله قد أخبر أنهم آمنوا بما أنزل اليهم ، وما أنزل اليهم هو التوراة والانجيل ، وفي كل منهما الدعوة الى أركان الدين الصحيح وهي الايمان بالله والايمان باليوم الآخر والدعوة الى العمل الصالح .

ثالثا : ما وجد من اشارات في الاناجيل المسيحية تصرح أن بعض الفرق اليهودية تؤمن بالبعث وترجو الحساب في الآخرة . ومن ذلك ما ذكر في انجيل متى حيث قال :

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٩

(وفى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامه قائلين لـــه يا معلم لقد قال موسى اذا مات أحد وليس له أولاد ذكور يتزوج أخوه امرأته لتلد ولدا ينسب الى أخيه ويخلد ذكره ، فكان عنده سبعة اخوة تزوج أولهم ومات بدون أن يولد له ولد ذكر ، فتزوج أخوه امرأته ولم ينجب ولدا ، وحدث مثل ذلك لجميع من بقى من الاخوة . فلأى أخ من هؤلاء الاخوة تكون هـذه المرأة يوم القيامة ؟

هذا الاشكال أورده الصدوقيون من اليهود الذين لا يؤمنون بيـــوم القيامة ، وهم بذلك يريدون استدراج المسيح حتى يوافقهم فى انكار البعـث واليوم الآخر . فكان الرد من المسيح على هؤلاء المنكرين : " انكم لتضلـــون وتجهلون أسفاركم وتشكون فى قدر الله . ألم تعلموا أن الناس فى الدار الآخرة لا يزوجون ولا يتزوجون ويعيشون كما تعيش ملائكة الله فى السماء ؟ !

ثم قال : " العجب لكم كيف تنكرون قيامة الأموات مع أنكم تقرءون فى كتبكـــم أن الله قد قال أنا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ؟ والله تعالى اله للأحيـــاء ولا يصح أن يكون الها للأموات " .

فلما سمعوا منه ذلك بهتوا من حجته . وسر الفريسيون لأنه أفحم الصدوقيين)) (١) .

وهذا النص يدل على أن بعض الفرق اليهودية لا يؤمنون بالبعـــــث كالصدوقيين . وأن هناك فرقا تؤمن بالبعث منها :

أولا : فرقة الفريسيين يؤمنون بالبعث والقيامة .

وقد جاء فى سفر أعمال الرسل أن بولس كان يقول : (أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات) . (٢)

---

(١) انظر انجيل متى الاصحاح الثانى والعشرين

(٢) سفر أعمال الرسل الاصحاح الثالث والعشرون

ويقول فى موضع آخر :

(هكذا أعبد اله آبائى مؤمنا بكل ما هو مكتوب فى الناموس والانبياء ولى رجاء فيما هم أيضا ينتظرون انه سوف تكون قيامة للاموات الابرار والاثمة) (١).

وهذه النصوص تدل على وجود عقيدة البعث فى الفكر اليهودى .

ثانيا : فرقة السامرة : يقول الشهرستانى : " السامرة فرقة من اليهود افترقت الى فرقتين دوستانيه ، وكوستانيه . والكوستانية معناها الجماعة الصادقة وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها .

والدوستانية : تزعم أن الثواب والعقاب فى الدنيا" . (٢)

ثالثا : فرقة الاسبيين ، أو الاسيين .

هذه الفرقة تؤمن بالبعث والقيامة وقد وجدت بالاسكندرية فى القرن الثانى (ق.م) (٣) .

نعم : ان فكرة الايمان بالبعث عند اليهود فكرة أصيلة وذاتية ولكن التحريف الشديد الذى تعرضت له الديانة اليهودية فى كتبها المقدسة كتب العهد القديم قد أثر على انتشارها وشيوعها فى الاوساط اليهودية ، بل انطمست هذه الفكرة أو كادت تنطمس فى الاوساط العلمية المثقفة !!

ونحن اذ قلنا انها فكرة ذاتية فاننا نريد بذلك استجلاء الحقيقة

---

(١) سفر أعمال الرسل الاصحاح الرابع والعشرون
(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص٢١٨
(٣) انظر كتاب المسيح فى الاناجيل الاربعة لفتحى عثمان ص ٦٧

والرد على من يقول انها مكتسبة من الأديان الأخرى كول ديورانت (١) وغيره •

والخلاصة من بحث هذه القضية عند اليهود :

أولا : يدل القرآن الكريم أن عقيدة البعث أصل من أصول العقائد الموسوية بعد توحيد الله تعالى •

ثانيا : خلو القسم الأول من العهد القديم " التوراة " من عقيدة البعث • وهو مما يؤكد تحريفها وانقطاع سندها عن التوراة الموسوية الحقة •

ثالثا : نشوء فكرة البعث في الأسفار المتأخرة عن التوراة كسفر أشعيا وسفر دانيال •

رابعا : كون فكرة البعث عند اليهود ذاتية وليست مكتسبة بدليل تصديق بعض الفرق اليهودية بذلك • وغير ذلك من الأدلة التي أشرنا اليها فيما سبق •

والله أعلم •

---

(١) أنظر قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٤٥

الفصل الثانى

عقيدة البعث فى المسيحية

الفصـــل الثانـــى

عقيدة البعث فى المسيحية :

أ — موقف المسيحية قبل التحريف من عقيدة البعث :

نقول وبالله التوفيق :

المسيحية فى أصلها دين سماوى منزل من عند الله تعالى كتابها الانجيل ورسولها عيسى عليه السلام أرسله الله الى بنى اسرائيل فدعاهم الى عبادة الله وحده — والايمـــان باليوم الآخر وهو بهذه الدعوة يجدد ما اندرس من قبل من دعوة موسى وابراهيـــم شيخ الأنبياء عليهما السلام وقد ثبت ذكر الآخرة على ألسنة هؤلاء الرسل جميعا قال تعالى مذكرا قوم خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم : (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخـرة خير وأبقى . ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى) (١) .

وقال سبحانه : (أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفّى . ألاّ تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) (٢) .

هذه الآيات تقرر فى وضوح تقدم الدعوة الى الايمان باليوم الآخر على ألسنة هؤلاء الأنبياء ، ودعوة عيسى هى عين دعوة من سبقه بدليل قوله تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشـــرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٣) .

وقوله سبحانه فى صفة انجيل عيسى : (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بيـن

---

(١) سورة الأعلى آية ١٦ : ١٩
(٢) سورة النجم آية ٣٥ : ٤١
(٣) سورة الصف آية ٦

يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (١) .

ونرى عيسى عليه السلام يتحدث فيقرر ايمانه بالبعث والجزاء كما قال تعالى حكاية عنه : (والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (٢) .

وهذه الآيات تقرر فى وضوح موقف المسيحية الحقةمن عقيدة البعث والجزاء فى اليوم الآخر .

ب — موقف المسيحية بعد التحريف من عقيدة البعث :

فى الحقيقة ان من يتأمل الاناجيل وبقية أسفار العهد الجديد يجد قضية البعث تبرز بروزا واضحا لايدع مجالا للريب بل يزداد يقين من يطلع على ذلك بعمق هذه العقيدة فى الضمير المسيحى .

ولعل من أسباب بروز هذه القضية فى الفكر المسيحى تأكيد عيسى على هذا الجانب لما رأى اليهود قد انغمسوا فى حب المادة وغفلوا عن الدار الآخرة فكانت معجزاته من جنس احياء الموتى وابراء المرضى كما قال تعالى مخبرا عنه : (ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) (٣) .

نعم كانت معجزاته مما يقوى جانب الروحية وجانب الايمان بالبعث والجزاء .

يقول الشيخ محمد أبو زهره رحمه الله :

" وفى الحق أن الذى نراه تعليلا مستقيما بكون معجزات السيد المسيح

---

(١) سورة المائدة آية ٤٦
(٢) سورة مريم اية ٣٣
(٣) سورة آل عمران آية ٤٩

لأهل
عليه السلام جاءت على ذلك النحو (١) هو مناسبة ذلك النوع / زمانه لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزات مما يتصل بالشفاء والأدواء بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم انكار الروح في أقوال بعضهم وأفعال جميعهم فجاء عليه السلام بمعجزات هي في ذاتها أمر خارق للعادة ، مصدق لما يأتي به الرسول ، وهي في الوقت ذاته اعلان صادق للروح وبرهان قاطع على وجودها ؟ هذا طين مصور على شكل طير ثم ينفخ فيه فيكون حيا ، وهذا ميت قد أكله البلى وأخذت أشلاؤه في التحلل وأوشكت أن تصير رميما : يناديه المسيح عليه السلام فاذا هو حي يجيب نداء من ناداه . وما ذاك الا لأن روحا غير الجسم الذي غيره البلى حلت فيه بذلك النداء ، ففاضت عليه بالحياة .

ثم قال رحمه الله : وهكذا كانت معجزاته من جنس دعايته وتناسب أخص رسالته وهو الدعوة الى تربية الروح ، والايمان بالبعث والنشور وان هناك حياة أخرى يجازى المحسن فيها باحسانه ان خيرا فخير وان شرا فشر " (١) .

والأناجيل المسيحية أناجيل محرفة كما هو معروف لدى علماء الأديان من مسلمين ومستشرقين منصفين . ومع هذا فقد وردت فيها اشارات بل تصريحات بأن الناس سيبعثون يوم القيامة .

نصوص من الاناجيل الاربعة

واليك أيها القارئ نموذجا من الأدلة وسأكتفي بنقل أدلة من الأناجيل الأربعة دون بقية أسفار العهد الجديد اذ المقصود تبيين عمق هذه العقيدة وتأصلها في الأديان السابقة للاسلام ، فأقول وبالله التوفيق :

أولا : انجيل متى : ورد في الاصحاح الثاني عشر منه قول المسيح :

---

(١) انظر كتابه النصرانية ص ٢١ الطبعة الثالثة ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦م

(ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها جوابا يوم الدين . لانك من كلامك تتبرأ ، ومن كلامك يحكم عليك) .

ويقول فى موضع بعده : (ويل للعالم من العثرات فلابد أن تأتى العثرات ولكن ويل لذلك الانسان الذى به تأتى العثرات " ويقول : (فان أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو اقطع من أن تلقى فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان ، وان أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم النار ولك عينان) (١) .

وجاء فى الاصحاح التاسع عشر : " واذا واحد يقدم وقال له : أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لما تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله ولكن ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له أية الوصايا ؟ فقال يسوع : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد الزور . أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك . قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فماذا يعوزنى بعد ؟ قال له يسوع : ان أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا ، لانه كان ذا أموال كثيرة : فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم انه يعسر أن يدخل غنى الى ملكوت السموات وأقول لكم أيضا : ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله "(٢) .

ويقول فى الاصحاح الخامس والعشرين : " ومتى جاء ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسيين فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم

---

(١) انجيل متى الاصحاح الثانى عشر

(٢) انجيل متى الاصحاح الخامس والعشرين

من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأني جعت فأطعمتموني ، عطشت فسقيتموني ، كنت غريبا فآويتموني ، عريانا فكسوتموني ، مريضا فزرتموني ، محبوسا فأتيتم الي" . فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : ومتى رأيناك جائعا فأطعمناك ، أوعطشانا فسقيناك ، ومتى رأيناك غريبا فآويناك ، وعريانا فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتيناك ؟ فيجيب الملك ويقول : الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم .

ثم يقول للذين عن اليسار : اذهبوا يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته . لأني جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقوني ، كنت غريبا فلم تؤووني ، عريانا فلم تكسوني ، مريضا ومحبوسا فلم تزوروني ، حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يا رب متى رأيناك جائعا أوعطشانا أوغريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد اخواني هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا . فيمضي هؤلاء الى عذاب أبدي . والأبرار الى حياة أبدية" . (١)

ثانيا: انجيل مرقس : جاء في الاصحاح التاسع منه : (وان أعثرتك يدك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة اقطع من أن تكون لك يدان وتمضي الى جهنم الى النار التي لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ . وان أعثرتك رجلك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ ، وان أعثرتك عينك فاقلعها خير لك أن تدخل

---

(١) انجيل متى الاصحاح التاسع عشر

ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان ، وتطرح في جهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ) .

ثالثا : انجيل لوقا :

يقول لوقا حكاية عن المسيح : "وقال أيضا للذي دعاه اذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا اخوانك ولا أقرباءك ولا الجيران الاغنياء لئلا يدعوك هم أيضا فتكون لك مكافأة . بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمى : فيكون لك الطوبى اذ ليس لهم حتى يكافؤوك لانك تكافى في قيامة الأبرار" (١) .

وفي الاصحاح الثاني والعشرين يقول : (أنا أعد لكم الملكوت كما أعده لي أبي . لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسيّ تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر)(٢)

رابعا : انجيل يوحنا :

ورد في انجيل يوحنا اشارات كما ورد في الأناجيل السابقة : فقال في الاصحاح الثاني عشر : "فنادى يسوع وقال : الذي يؤمن بي يؤمن بالذي أرسلني ، والذي يراني يرى الذي أرسلني أنا قد جئت نورا الى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة وان سمع أحد كلامي ولم يؤمن فانا لا أدينه ، لاني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم . ومن رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه ، الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الاخر ، لاني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية : ماذا أقول ، وماذا أتكلم وأنا أعلم وصيته هي حياة أبدية) . (٣)

---

(١) انجيل لوقا الاصحاح الرابع عشر
(٢) انجيل لوقا الاصحاح الثاني والعشرين
(٣) انجيل يوحنا الاصحاح الثاني عشر

حول معنى هذه النصوص :

أ — يرى المتأمل لهذه النصوص أن عقيدة البعث أصل فى أصول الديانة المسيحية ، وأن عيسى عليه السلام بشر به ودعى اليه ووعد من عمل الصالحات بالنعيم فى ملكوت الله ومن لم يطع الله بالنار والجحيم الأبدى فى الدار الآخرة .

ولذا قال فى انجيل متى : " انه يعسر أن يدخل غنى الى ملكوت الله " .

ويقول : " ان أعثرتك رجلك فاقطعها وألقها عنك خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية " .

ويقول لمن كان عن يمينه : " تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم " .

ويقول : " وان أعثرتك عينك فاقلعها خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ " .

ويقول : " ومن رذلنى ولم يقبل كلامى فله من يدينه ، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الآخر " .

وهذه أدلة واضحة على عمق عقيدة البعث فى الفكر المسيحى ، وأنه جسمانى وروحانى أيضا . والمسيح حينما يقول " وأنا أعد لكم الملكوت كما أعدّه لى أبى ، لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر " حينما يقول ذلك يبشر ببعث الجسد والروح معا لأن الأكل والشرب نعيم حسّى ينعم به الجسد أولا كما تتلذذ به الروح أيضا . وفى هذا النص رد على من نفى البعث الجسمانى من المسيحيين وقال بالبعث الروحانى وحده .

يقول الشهرستاني : " أن في النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان وقال ان عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل . وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم . وأنكروا أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب " (١) .

قلت وقولهم هذا مردود بما ثبت في الأناجيل من ذكر النعيم الحسي والعذاب الحسي اللذين لا يقعان الا للجسد لأن الروح ليس من نعيمها الأكل والشرب. وهذا النوع من النعيم قد وعد به الأخيار .

وهو الذي عليهم عامة النصارى كما ذكر ذلك الشهرستاني عن : مجموعة من البطارقة والمطارنة والأساقفة اجتمعوا في بلد قسطنطينه بمحضر من ملكهم وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا فاتفقوا على اعتقاد قيامة الأبدان بقولهم : " ونؤمن بقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة الأبدية أبد الآبدين " (٢) .

نعم الرأي الراجح أن النصارى يؤمنون بالبعث الروحي والجسدي ولعلهم أيضا يستدلون على اقامة الأموات من القبور في يوم البعث الآخر بما حدث على يدي المسيح عليه السلام من اقامة بعض الموتى واحيائهم باذن الله بعد أن ذاقوا آلام الموت بل ودفن بعضهم في القبور فدعاهم فقاموا أحياء .

وهذه معجزات حسية أجراها الله على يديه لكي تكون :

أ — برهانا واضحا على صدق نبوته عليه السلام .

ب — لتكون دليلا على امكان البعث واخراج الموتى من قبورهم احياء لأن من قدر على احياء البعض فهو قادر على احياء الكل اذ القدرة صالحة كما قال تعالى :

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص٢٢٣ (٢) انظر كتابه الملل والنحل ج ١ ص٢٢٣

(ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) (١) .

وعلمه شامل كما قال تعالى : " قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ"(٢) . ومن اتصف بكمال القدرة وكمال العلم فانه لا يعجز عن شيء ولا يغيب عن علمه شيء . وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .

جـ — اذا ثبت بالأدلة القاطعة ان البعث في المسيحية روحاني وجسماني كما سبقت الاشارة اليه ، فان ذلك يرد على بعض الشائعات التي تصور المسيحية وكأنها لا تؤمن الا بالجزاء الروحي وحده ، بل ان هذه الردود لتخرس فئات من المبشرين والمستشرقين الذين يقفون عند الجزاء المادي في القرآن ثم يكثرون الهمز واللمز ، ولا يخجلون من وصف الاسلام بأنه دين مادي بحت مع ما في مواريثهم التي بين أيديهم مما يصدق الكثير مما جاء به الاسلام .

نعم قد توجد نصوص غامضة في هذه الأناجيل تشير الى أن البعث روحاني ، ولكن ان أخذت هذه النصوص على ظاهرها دل الأمر على التناقض والتدافع ، والحق تأويلها حتى يمكن الجمع بين الأدلة المختلفة . ولا يتم هذا الجمع الا اذا قلنا ان البعث في المسيحية روحاني وجسماني معا وهو ما رجحناه .

ولعل فيما أوردناه في الفصل مايكفي لبيان موقف المسيحية من البعث الآخر مع مافيه من غلط وخطأ في بعض النصوص التي توحي أن المحاسب هو ابن الله على زعمهم وأنه هو الذي يدين الخليقة يوم الدين . وكل ذلك خطأ فاحش وانحراف مشين لحق بعقيدة البعث كما أن حكاية الصلب والفداء والتثليث ، ألحقت المسيحية بالديانات الوثنية في تعدد الآلهة ، وتقديم القرابين ، والنصرانية الأولى بريئة من كل هذه الانحرافات . . والله أعلم .

---

(١) سورة لقمان آية ٢٨ (٢) سورة ق آية ٤

الباب الثالث
البعث في الاسلام

الفصل الاول : أدلة البعث عقلا وشرعا

الفصل الثاني : آراء العلماء المحكية في صفة البعث

الفصل الثالث: آراء علماء الاسلام في صفة الاعادة

تمهيـــــــد :

استعرضنا فكرة البعث في الأديان القديمة والأديان السماوية السابقة للاسلام فوجدناها عميقة في الضمير البشري على امتداد تاريخ الانسان من لدن آدم عليه السلام حتى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء الاسلام فأكد الدعوة الى هذه القضية وجعلها من قضاياه الأساسية فبيّن امكان وقوعها ودليل الوقوع والصفة التي سوف يقع عليها .

نعم جاء الاسلام للبشر فأصلح ماتغير من الدين الحق في عقيدة البعث وأعاد الجزاء الى حقيقته المعقولة وهو ما كرّم الله تعالى به الانسان من جعل سعادته وشقائه منوطين بايمانه وعمله ، اللذين هما من كسبه وسعيه لا من ايمان غيره وعمله ، وأن الجزاء على الكفر والظلم والفساد في الأرض يكون بعدل الله تعالى بين جميع خلقه ، بدون محاباة شعب على شعب "(١) .

والاسلام دين عالمي ودين خاتم لذلك بيّن هذه القضية أتم بيان وسلك في الرد على منكري البعث على اختلاف اتجاهاتهم وشبهاتهم شتى الوسائل والطرق ، ومختلف البراهين والحجج لاقناعهم وارشادهم كما سيأتي ان شاء الله تعالى .

ولما كانت هذه العقيدة ذات تأثير عظيم في سلوك الانسان وتهذيب غرائزه مهد القرآن لها بشرح مقدمات نفسيه وفكرية توضح التصور الاسلامي الصحيح لها :

---

(١) أنظر كتاب الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا ط ٨ ص ١٧٦

المقدمة الأولى : للوجود غاية :

الله سبحانه وتعالى هو خالق الانسان ومبرزه من العدم الى الوجود .

فهل لهذا الوجود حكمه ؟

يتحدث القرآن الكريم عن هذا المعنى فيقرر ان الانسان وكذا الجان خلقا جميعا لغاية وهدف وهو عبادة الله تعالى وسلوك صراطه المستقيم فيقول : (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هوالرزاق ذو القوة المتين) (١) . ويقول فى آيةأخرى : (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)(٢) فهذا الانسان الذى خلق من قبضة الطين ونفخة الروح عالم متميز له مهمته الخاصة فى الأرض ، فهو مستخلف فيها ليقيم الحق ويقوم به حتى يأتيه اليقين فيرجع الى ربه وخالقه ولما كان الانسان محتاجا الى ما يعينه على أداء رسالته فى عالمه حدثنا القرآن أن الله سبحانه قد هيأ له دعائم الاستقرار والبقاء الى حين ليقوم بواجبه فسخر له ما فى السموات والأرض قال تعالى : (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) (٣)

انها حقيقة واضحة وقضية مسلمة الا عند من ألغى عقله واتبع هواه ! ! فكل ما فى السموات والأرض وما بينهما مخلوق من أجل خدمة الانسان — والانسان مخلوق لعبادة الله وحده . ومن تصور غير ذلك فانه يجادل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ان الحياة

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ : ٥٨

(٢) سورة المؤمنين آية ١١٥

(٣) سورة لقمان آية ٢٠

الانسانية ليست عملا ارتجاليا ولا تصرفا لا معنى له . ولقد نفى الله عن نفسه العبث فى خلقه لهذا العالم الدقيق المحكم فقال : (وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما لاهبين . ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) (١) .

والقرآن حينما يفيض فى بيان الحكمة التى من أجلها خلق الله السموات والأرض والانسان يقرر أيضا أن ما يقدمه الانسان لن يضيع بل سيجده أمامه ماثلا يوم البعث والجزاء فيقول : (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) (٢) نعم ان للحياة معنى شريفا — وللعمل جزاء وافيا يجده صاحب الخير خيرا وصاحب الشر شرا حينما يلاقى كل منهما خالقه كما قال تعالى : (وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) (٣) وقال تعالى : (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٤) وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

اذا عرفنا ذلك أدركنا أن الاسلام وهو يقرر هذه الحقيقة يرفض الفلسفة الوجودية الملحدة بل ويردها خاسئة حاسرة . " فليس ثمة عبث كما يرى "كاموا" . وليس ثمة لا معقولية للحياة كما يرى "كافكا" . وليس ثمة تناقضات تفسيه لا نهاية لها كما يرى " دستوفسكى " (٥) بل هناك غاية شريفة ومهمة شريفة أيضا شريفة بشرف هذا الانسان الذى كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق . لقد خلقه ليبتليه أيشكر أم يكفر كما قال تعالى :

---

(١) سورة الدخان آية ٣٨/ ٣٩
(٢) سورة الانشقاق آية ٦
(٣) سورة النجم آية ٣٩ : ٤١
(٤) سورة الزلزلة آية ٧: ٨
(٥) "البيركامو" و "كافكا" و "ستوفكى" هؤلاء فلاسفة وجوديون يعبدون الحياة ولا يؤمنون بما وراءها . أنظر البعث فى الاسلام د . تهامى نفر ص ٥٠ ط اولى

(وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا (١)) وقال (هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (٢) ، وقال تعالى : (ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) (٣)

وفي ربط الملكية بالجزاء في هذه الآية معنى عظيم وتناسق معجز — فالملك كله لله سمواته وأرضه وما بينهما وفي ذلك رد على الذين ينكرون الألوهية ويرفضون عقيدة البعث ويركنون للمادة ويفضلون العيش بعيدا عن الأصل الذي انبثقوا منه مطمئنين الى الدنيا غير مفكرين في آخرة ولا في ثواب وعقاب . وهذا النوع سوف يواجه الفجيعة الكبرى يوم يودع الحياة ويستقبل الآخرة ويدرك أنه كان في ضلال بعيد .

المقدمة الثانية : للعالم نهاية :

تبدو آيات القرآن الكريم مقررة هذه الحقيقة وهي بذلك تستنهض الأرواح الهابطة الى الأرض والراضية بمتاعها وزينتها فتلمسها هذه الحقيقة — الكون له غاية والعالم له نهاية! سوف يتغير ويخرب . وعندما يأتي السؤال ثم ماذا ؟ فيكون الجواب حاسما ثم البعث والجزاء ! ! والقرآن وهو يستجلي هذه الحقيقة يستعرض آيات الكون الكبار — كالسماء والأرض والشمس والقمر والبحار والعشار — فيقرر امكان تغييرها بل ثبوت تغييرها ليشعر الانسان بقرب الساعة وقرب البعث والمحاسبة . فيقول تعالى محددا هذه النهاية :

(اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ، واذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٢

(٢) سورة الملك آية ٢

(٣) سورة النجم آية ٣١

واذنت لربها وحقّت) (١) ، ويقول سبحانه : (اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت) (٢) ويقول : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (٣) .

وهذه الآيات تقرر في وضوح نهاية العالم وامكان تغييره ، وذهاب الحياة والأحياء عن حالتهما المشهودة المعروفة في الدنيا حتى يأذن الله لهم بالرجوع والبعث . وهذه الساعة لابد منها وليس هناك مفر من مشاهدتها ومواجهتها وعلامة ذلك حينما تأخذ الأرض زينتها وزخرفها ويظن الانسان المغرور أنه قادر عليها بما يملكه من زمام الأمور وسعة العلوم . قال تعالى : (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (٤) .

نعم البعث سوف يسبقه فناء العالم فيموت الأحياء جميعا وتبدل الأرض والسماء وبعد ذلك ينشىء الله النشأة الآخرة ويقع البعث والجزاء ومن ثم الى الجنة أو النار ! .

اننا نلاحظ أن القرآن وهو يعرض هذه المقدمات يظهرها في صور مثيرة الملامح ، قوية التأثير كما نلاحظ أن النظم الكريم أكثر من الحديث عن البعث واستفاض في الاستدلال له ، وكرر ذلك تكرارا لا يمل وانما يشرح الحقيقة للانسان ويدفع كل شبهة ترد عليه منه .

فما هو السبب في هذا التكرار ؟ الجواب :

---

(١) سورة الانشقاق آية ١ : ٥

(٢) سورة الانفطار آية ١ : ٥

(٣) سورة الرحمن الآيات ٢٦ / ٢٧

(٤) سورة يونس آية ٢٤

أولا : جمهور المشركين العرب كافر بالبعث ساخر منه ، يحيا لعاجلته ، ولا يكترث لما وراءها من حساب وبعث .

ثانيا : فساد تصور أهل الكتاب ، يهود — ونصارى — الا أفرادا قلائل . فاليهود منغمسون في المادة ومنحرفون في تفكيرهم بسبب تحريفهم لمواريثهم التي هي مصادر ديانتهم واعراضهم عن البحث عن الحق .

والنصارى يؤمنون بالبعث ولكنهم أيضا منحرفون لاعتقادهم أن المحاسب هو يسوع ابن الله على زعمهم . تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرا .

ثالثا : الهنود والبوذيون لا يؤمنون ببعث ولا حساب وكل ما عندهم هو الزهد عن الدنيا ولذاتها ، وبذل النفس واشقاؤها للوصول الى درجة " النيرفانا " وسواء كان عن طريق التناسخ أو الوصول المباشر من الشخص نفسه ! !

رابعا : لعل من أهم أسباب تكرار ذكر البعث واليوم الآخر عامة في القرآن ما يضفيه هذا المعتقد على الانسان من حب الخير والاستقامة في الحياة الدنيا . فالانسان حينما يعلم يقينا أن حياته الدنيا سوف تنقضي طالت الحياة أو قصرت وأن هناك حياة بعد الموت فانه ولا بد إن كان عاقلا أن يجعل الدنيا مطية للآخرة وقنطرة يعبر عليها ليصل الى الحياة الأبدية التي لا ينفد نعيمها ولا ينقطع خيرها ! !

وأمر آخر : ان ذكر البعث والجزاء لهو من أقوى الدوافع الى الخير وردع النفس عن الشر . اذ لا حافز على مراقبة الله وعلى الوقوف عن محارم الله كالايمان بأن الحياة الآخرة حقيقة واقعة ، وقضية عادلة ، ومسألة حتمية لا تقبل الشك أو الجدل .

والله أعلم .

الفصـــــل الأول

أدلـة البحـــــث :

أ ـ أدلة البحث عقلا .

ب ـ أدلة البحث شرعا .

أ ـ أدلة البعث عقلا :

القول بأن البعث مما يعلم بالعقل قول معقول تشهد بصحته العقول السليمة والفطر النيرة ، وهي بشهادتها هذه تلتقي مع اخبار الشرع فيكونان صخرة صلبة في وجه المنكرين له والمستبعدين لوقوعه ممن ألغوا عقولهم وعطلوا نعمة الله فلم يتفكروا بفكر الباحث عن الحق المتطلع الى الحقيقة .

قال ابن القيم رحمه الله : " وأما أصل الثواب والعقاب فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم الا بالسمع وحده ؟ فيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الائمة الأربعة وغيرهم " ثم قال رحمه الله : " والصحيح ان العقل دل على المعاد ، والثواب ، والعقاب اجمالا ، وأما تفصيلا فلا يعلم الا بالسمع " (١) .

نعم دل العقل على المعاد جملة لا تفصيلا . فالانسان وهو يرى الموت يتخطف الناس من حوله يتساءل الى أين يذهب هؤلاء ؟ وما مصيرهم بعد الموت ، ومنهم من عليه حقوق ، ومن له حقوق ؟ بل يعز عليه أن يتصور الحياة الدنيا بدون غاية ومعنى لما فيه من غريزة حب البقاء في الانس فهو لا يستسيغ أن تنصرم حياته وينقطع عيشه ثم لا يكون أمامه ما يعوضه عن ذلك .

ومن هنا جاءت فكرة امكان البعث لا سيما وهو يشاهد نموذجا للبعث والاعادة . فها هو ذا نهاره في يومه وليلته يموت ويبعث ، يموت أول الليل فيترك الأكل والشرب ومتعة العيش بل يفقد احساسه بمن حوله وينسى مصالحه الخاصة والعامة ثم تعود اليه الحياة ويبعث من جديد عند الصباح . ان هذه الحال لتعد نموذجا ملموسا على امكان البعث وقدرة الله على ذلك ! !

---

(١) انظر كتابه حادي الأرواح ص ٢٦٣ ط الثالثة

نعم ان حالة النوم واليقظة لتوحي الى النفس أن هناك حياة أخرى بعد الموت النهائي ، وهناك بعثا لجميع البشر يحاسبون بعده على أعمالهم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر بل وينتصف للمظلوم من ظالمه . وذلك مقتضى العدل والحكمة اذ لا يتصور عدل ولا حكمة بدون أن يتصور بعث وحساب ، ومن تصور ذلك فقد وصف ربه بالعبث في خلقه الخلق . والظلم في عدم انصاف المخلوقين بعضهم من بعض . والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ! !

وهذا الصنف من الناس هم الحمقى . قال الراغب الاصفهاني :

" لم ينكر المعاد والنشأة الآخرة الا جماعة من الطبيعيين أهطوا أفكارهم وجهلوا أقدارهم ، وشغلهم عن التفكر في مبدئهم ومنشئهم شغفهم بما زين لهم من حب الشهوات المذكورة في قوله تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا) (١) ، ثم قال : ولو لم يكن للانسان عاقبة ينتهي اليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصبا وهما وحزنا ، ولا يكون بعدها حال مغبوطة لكان أخس البهائم أحسن حالا من الانسان " (٢) .

هذا حق ! ! فالآخرة ضرورة ولا يجحدها الا من انحرف عن فطرته السليمة وعقله الراشد وأما من كان عقله سليما ولم تطه شياطين الانس والجن فانه لا بد أن يؤمن بالله ويؤمن باليوم الآخر .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين — المطبعة العربية — حلب ص ١٠٤

وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة كما سيأتي . فالعقل الفطري يقود الى الايمان ما لم يطرأ عليه ما يغيّره فهو كماء القراح الذي لا يتغير الا اذا مزج بغيره مما هو ليس من جنسه ، واليك نماذج من أدلة العقل الفطري على الايمان :

أولا : أهل الكهف :

تحدث القرآن الكريم عن أهل الكهف فقال :

(نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) والذي يبدو من ظاهر هذه الآيات أن هؤلاء الشباب لما نظروا ما عليه قومهم من عبادة الأصنام والذبح لغير الله وغير ذلك من مظاهر الشرك انقدح في قلوبهم نور الايمان وأنفوا أن يصرفوا العبادة لغير الله تعالى فاعتزلوا قومهم وأعلنوا التوحيد والايمان بالله .

قال ابن كثير : " قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وساداتهم وأنهم خرجوا يوما في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس . وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم اليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا الى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم فعرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي الا لله الذي خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز عنهم ناحية الى قوله حتى اجتمع بعضهم الى بعض وانما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الايمان " (١) .

---

(١) أنظر التفسير ج ٣ ص ٧٤ الطبعة الحلبية

نعم جمعهم الايمان بالله الذى كان نتيجة لتفكرهم وتبصرهم عن حال قومهم ولعل فى قوله تعالى : (وزدناهم هدى) بعد قوله (انهم فتية آمنوا بربهم) لعل فى ذلك اشارة الى أنهم اهتدوا أولا ثم زادهم الله توفيقا ونورا فى ايمانهم . والايمان باليوم الآخر فرع عن ايمانهم بالله بالدليل العقلى والله أعلم .

ثانيا: بعض العرب قبل البعثة :

اهتدى بعض العرب قبل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الى الايمان بسبب تفكرهم ونظرهم لآيات الله فى السماء والأرض، ويؤيد ذلك ما رواه الحلبى فى ترجمة عبد المطلب حيث قال :

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه ، وتصيبه عقوبة حتى هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر ، وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسىء باساءته " (١)

قال محمد بن على الشرقى : " فظاهر قوله " ففكر " أنه أدرك بفطرته السليمة أنه لابد من الدار الآخرة اجمالا وقد جاء الشرع مطابقا ومتضمنا لتفصيل ذلك وتقرير ما ذهبت اليه العقول الصحيحة ، وأدركته — بالايمان والالهام مع التوفيق ونبذ العناد والأوهام) (٢) .

---

(١) انظر السيره الحلبيه ج ١ ص ٤ . والملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٢٤٠

(٢) انظر نير البرهان فى توطيد عقائد الايمان ج ١ ص ٧٣ ط أولى

ويؤيد هذا ماذكر الشهرستاني عن زهير ابن أبي سلمى : قال كان زهير يمر بالحضاة وقد أورقت بعد يبس فيقول: "لولا أن تسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم" (١) .

وهذا مما يؤيد أن فكرة البعث أخذت تتسرب الى عقله وتخامر نفسه قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولولا خشيته لقومه لأعلن ايمانه بما تجس في قلبه وعقله .

---

(١) الملل والنحل ج ٢ ص ٢٤٤

ب ـ أدلة البعث شرعا :

أولا : من القرآن الكريم :

اهتم القرآن بقضية اليوم الآخر والبعث فعرضها عرضا لا خفاء فيه ولا غموض . لقد جاء الاسلام وحالة العالم بالغة السوء . فقد فسدت التصورات والمعتقدات عند مشركي العرب وأهل الكتاب وسائر أهل الملل كما أسلفنا . فهناك من ينكره جملة وتفصيلا كالدهرية ، وهناك من يؤمن به ولكن في صورة تناسخية دنيوية ، وهناك من يؤمن بالبعث الروحاني وينكر البعث الجسماني ، وهناك وهناك !

كانت الفكرة غامضة عند الكثير فجاء القرآن فبينها أحسن البيان وأوضحه ، بيّن امكان وقوعه ، وكيفية الوقوع ، وناقش من ينكره أو يشك في وقوعه ، وبيّن حكمته والغاية منه حتى سهل على النفوس قبوله وآن للقلوب اعتقاده ؟ الا من حقت عليه الشّقوة وكتبت عليه الذلة والحسرة .

واهتمام القرآن بالبعث يتجلى في عدة أمور :

أولا : الاكثار من ذكره :

فلا تكاد نقرأ سورة من سور القرآن الا ونجد للبعث والحساب تصريحا أو اشارة وتلميحا . قال سيد قطب رحمه الله :

" لقد عنى القرآن بمشاهد القيامة : البعث والحساب ، والنعيم ، والعذاب فلم يعد ذلك اليوم الآخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم موصوفا فحسب ، بل عاد صورا محسوسا ، وحيا متحركا ، وبارزا شاخصا . وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة : رأوا مشاهده ، وتأثروا بها ، وخفقت قلوبهم تارة ، واقشعرّت جلودهم تارة ، وسرى

في نفوسهم الفزع مرة ، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظ ، ورفّ عليهم من الجنة نسيم ، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود "(١) .

نعم انه لم يعد موصوفا فقط وانما أضحى : صورا محسوسا ، وبارزا شاخصا ومعتقدا واضحا ، وضرورة موعده .

ثانيا: ربط الايمان به سبحانه بالايمان باليوم الآخر :

قال تعالى : (ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر ... الخ) (٢) . وهذا مما يدل على أهميته وأنه في الرتبة الثانية بعد الايمان بالله تعالى بل هو الركن الثاني من أركان الدين الذي دعت اليه الأنبياء بدليل قوله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣) .

والقرآن وهو يقرر هذه العقيدة سلك عدّة مسالك في اثباتها :

المسلك الأول : الاستدلال بالنشأة الأولى على الآخرة .

وفي هذا المسلك يعرض القرآن قصة البدء وتطور خلق الانسان من حالة الى حالة أخرى حتى بلغ الحالة التي تجعله أهلا للتكليف . ثم يقرر له أن الذي قدر على تلك النشأة هو الذي سوف يعيده . والقرآن وهو يعرض ذلك يحسن العرض ويصوره مرحلة مرحلة وكأنه والد يعلم ولده المشي ويأخذ به أحسن الطرق وأسلمها ، حتى اذا ما شرح

---

(١) مشاهد القيامة ص ٣٨

(٢) سورة البقرة آية ١٧٧

(٣) سورة البقرة آية ٦٢

له الطريق قال : افعل كما فعلت معك . ولله المثل الأعلى فهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ، خلق الانسان من ضعف الى قوة ثم قال له : ان كنت تكذّب بلقائى وبعثى ووعدى ووعيدى فانظر الى مبدئك فان ذلك دليل امكان اعادتك اذ القدرة التى بدأت بها خلقك أولا صفة من صفاتى الأبدية التى لا تتغير ولا يطرأ عليها ضعف أو عجز . وهى التى سوف أعيد بها خلقك ثم أبعثك مرة ثانية .

النموذج الأول لهذا المسلك :

قال تعالى :

(يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يردّ الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا .)

(وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) .

(ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور) (١)

بيان النص :

قوله تعالى : (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) فى الآية الاحتجاج على العالم والكفار على وجه الخصوص .

---

(١) سورة الحج آية ٥ : ٦ : ٧

" والريب " هو الشك فى وقوع البعث أو امكانه . والمعنى ان كنتم فى شك من الاعادة فانظروا فى مبدأ خلقكم أى خلق أبيكم آدم عليه السلام ليذهب عنكم الريب .

" فانا خلقناكم من تراب " فى ضمن خلقه أبيكم آدم .

" ثم من نطفة " أى خلقناكم أنتم ذرية آدم من منى " .

" ثم من علقة " أى دم جامد .

" ثم من مضغة " أى قطعة لحم " مخلّقة " أى موصوفة بأنها مستبينة الخلق ظاهرة التصوير .

" وغير مخلّقة " أى لم يستبن خلقها ولا ظهر تصويرها .

" لنبين لكم " اللام متعلقة بخلقنا : أى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم .

" ونقرّ فى الأرحام ما نشاء " أى ونحن نقر " قال القرطبى قال الزّجاج :

" نقر بالرفع لا غير لأنه ليس المعنى : فعلنا ذلك لنقر فى الأرحام ما نشاء ، وانما خلقهم عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح .

وقيل المعنى . لنبين لهم أمر البعث ونقر فى الأرحام أى نثبت فى الأرحام ما نشاء فلا يكون سقطا " (١) .

" الى أجل مسمى " وقت الولادة .

" ثم نخرجكم طفلا " أى نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا وأفرد ارادة للجنس الشامل للواحد والتعدد .

" ثم لتبلغوا أشدكم " أى كمالكم فى القوة والعقل والتمييز .

" ومنكم من يتوفى " أى قبل البلوغ فيموت .

" ومنكم من يرد الى أرذل العمر " فيكون له البقاء بعد بلوغ الرشد بل ويعمّر الى أن يرد الى أخسّ العمر وأدونه وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل .

---

(١) انظر التفسير ١٢ ص ١١ ط دار الكتاب العربى

" لكيلا يعلم من بعد علم شيئا " أى شيئا من العلم والمعرفة وحتى يصير بعد أن كان ذا علم لا علم له ولا فهم .

هذه مراحل خلق الانسان والقرآن وهو يسوق ذلك يدلل بها على امكان البعث الآخر وانّ من قدر على خلق الانسان فى أطوار متعددة ومتدرجة لا يعجز عن اعادته .

ثم نراه يضرب مثلا آخر وحجة من نوع غير النوع الانسانى ؟ من الأرض التى يحسها ويرى تغيرها عند نزول الأمطار وحلول الغيث فيقول :

" وترى الأرض هامدة " قال القرطبى رحمه الله : " ذكر دلالة أقوى على البعث فقال فى الأول " فانا خلقناكم من تراب " فخاطب جمعا . وقال فى الثانية " وترى الأرض " فخاطب واحدا . فانفصل اللفظ عن اللفظ ، ولكن المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكرى البعث " (١) قلت وفى قوله " أقوى " نظر اذ مشاهدة العظمة واحدة بل هى فى الانسان أدق وأتقن والله أعلم .

قوله " هامدة " أى أرض هامدة لا نبات فيها ونبات هامد يابس (٢) .

وهذه حجة على المنكرين للبعث لأن من قدر على احياء الأرض فانه لن يعجز عن احياء الموتى .

" فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت " أى تحركت وتخلخلت وانفصل بعض أجزائها بالارتفاع عن بعض لخروج النبات .

وأنبتت من كل زوج بهيج " أى من كل صنف حسن يسرّ الناظرين .

---

(١) انظر التفسير ج ١٢ ص ١٣

(٢) انظر غريب القرآن للراغب الاصفهانى ص ٥٤٥ الطبعة الحلبية

هذه أدلة امكان البعث ، اذ القادر على تطوير خلق الانسان والقادر على احياء النبات من الأرض التى لا نبات فيها قادر على أن يجيى الانسان ويبعثه من قبره يوم البعث .

" ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور "

بعد تقرير امكان البعث يقرر ثبوت وقوعه .

قال سيد قطب رحمه الله :

" أى انشاء الله الانسان من التراب ، وتطور الجنين فى مراحل تكوينه ، وتطور الطفل فى مراحل حياته ، وانبعاث الحياة من الأرض بعد الهمود ، ذلك متعلق بأن الله هو الحق . فهو من السنن المطّردة التى تنشأ من أن خالقها هو الحق الذى لا تختل سننه ولا تتخلف . وأن اتجاه الحياة هذا الاتجاه فى هذه الأطوار ليدل على الارادة التى تدفعها ، وتنسّق خطاها وترتب مراحلها ... فهناك ارتباط وثيق بين أن الله هو الحق ، وبين هذا الاطراد والثبات ، والاتجاه الذى لا يحيد "(١) .

وقال القرطبى :

" نبه سبحانه وتعالى على أن كل ماسواه ، وان كان موجودا حقا فانه لا حقيقة له من نفسه لأنه مسخر مصرف . والحق الحقيقى هو الموجود المطلق ، الغنى المطلق . وأن وجود كل ذى وجود عن وجوب وجوده ؟ وقيل " ذو الحق على عباده " (٢) .

قوله تعالى : " وأنه يحيى الموتى " أى يعيد اليهم الحياة والحركة بعد الموت .

---

(١) فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٤١١ طبع دار الشروق

(٢) أنظر التفسير ج ١٢ ص ١٤ .

" وأنه على كل شيء قدير" أي قادر على ما أراد ومن ذلك البعث .

" وأن الساعة آتية لا ريب فيها" لأن الحكمة تقتضي مجيئها ليجازى كل عامل بعمله .

" وأن الله يبعث من في القبور" أي يبعث أجسامهم وأرواحهم ويحييهم وينشرهم كما قال : "ثم اذا شاء أنشره" (١) .

وهكذا نرى هذه الآيات تعرض أدلة امكان الاعادة . ففيها أولا دليل تطور خلق الانسان . ثم تطور خلق النبات من الأرض اليابسة ، وهذا نوع قياس .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

" ومن قياس الدلالة قوله تعالى : "يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث ..الخ أي ان كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في انكم مخلوقون ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال الى حال الى حين الموت .

والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى فهما نظيران في الامكان والوقوع، فاعادتكم بعد الموت خلقا جديدا كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها . فكيف تنكرون احدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها " (٢) .

النموذج الثاني :

قال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون) (٣) .

---

(١) سورة عبس آية ٢٢

(٢) انظر اعلام الموقعين ج ١ ص ١٤٠ ط مكتبة الكليات الأزهرية

(٣) سورة المؤمنين آية ٨: ١٦

بيـــان النـــص :

قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) أى ابتدأنا خلقـــه والانسان : آدم عليه السلام .

(من سلالة) من ابتدائية متعلقة بخلقنا .

(من طين) من بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة — أى كائنة من طين . والمعنى أنه سبحانه خلق الانسان الذى هو آدم من طين خالص وذريته من طين ومنى .

(ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) أى جنس الانسان باعتبار أفراده الذين هم بنو آدم على حد قوله تعالى : (وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من مـــاء مهين) (١) .

(فى قرار مكين) هو رحم الام ومعنى مكين مستقر محفوظ .

(ثم خلقنا النطفة علقة) أى أحلنا حاله من حالة الى أخرى فصيرنا النطفة البيضاء الى علقة حمراء جامدة .

(فخلقنا العلقة مضغة) أى جعلناها قطعة لحم غير مخلّقة .

(فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) أى غير الله حال القطعة من اللحم الى حال آخر فتصلبت وأصبحت هيكلا عظميا للانسان .

(فكسونا العظام لحما) أنبت الله على هذا الهيكل العظمى لحما بقدر ما يحتاج اليه وما يناسبه ويشده .

(ثم أنشأناه خلقا آخر) قال القرطبى :

" اختلف الناس فى الخلق الآخر :

فقال ابن عباس والشعبى وأبو العالية والضحاك وابن زيد : هو نفخ الروح فيه بعـــد

---

(١) سورة السجدة آية ٧ : ٨

أن كان جمادا . وفي قول آخر لابن عباس : خروجه من الدنيا .

وقال قتاده : نبات شعره .

وقال الضحاك : خروج الانسان ونبات الشعر .

وقال مجاهد : كمال شبابه . ؟

قال القرطبي : والصحيح أنه عام في هذا وفي غيره من النطق والادراك ، وحسن المحاولة ، وتحصيل المعقولات ، الى أن يموت .

(فتبارك الله أحسن الخالقين) استحق التعظيم والثناء لأنه أحسن خلق الانسان وتطويره ثم وصف نفسه أنه أحسن المقدرين (١) .

(ثم انكم بعد ذلك) الاشارة بقوله ذلك الى الأمور المتقدمة من أطوار خلق الانسان وحياته (لميتون) أي صائرون الى الموت لا محاله .

(ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أي تخرجون من قبوركم وتحيون مرة ثانية .

وهذا اخبار من الله سبحانه بالبعث بعد أن ساق أدلة امكانه . وأن من قدر على خلق الانسان بتلك الصورة المتدرجة حتى اكتمل خلقه وتم لن يعجز عن اعادته بل سوف يعيده ويحييه لينال جزاءه وافرا غير منقوص .

وفي الآيات استدلال بالقدرة على البدء للقدرة على الاعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الثانية .

---

(١) انظر اللسان لابن منظور مادة قدر

النموذج الثالث :

قال تعالى : (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ما تشكرون . وقالوا أءذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون . قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم ثم الى ربكم ترجعون . ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انّا موقنون) (١) .

بيان النص :

قوله تعالى : (ذلك عالم الغيب والشهادة) أي عالم ما غاب عن الخلق وما حضرهم و " ذلك " بمعنى أنا وهو مبتدأ وخبره .

" عالم الغيب والشهادة" وفي هذا تهديد لمن يغفل عن جزائه وحسابه وينكر البعث والحشر اليه . وهو سبحانه يعلم عن أجزاء الانسان التي تفرقت بعد موته ، واذا أراد بعثه جمعها .

" العزيز " القاهر الغالب .

" الرحيم " بعباده .

" الذي أحسن كل شيء خلقه) أتقن ما خلقه وأحكمه ومن ذلك الانسان فهو من أعظم المخلوقات الظاهرة حسنا واحكاما ، وبدائع الصنعة فيه واضحة من بداية خلقه حتى كمال نموه ! !

---

(١) سورة السجدة الآيات ٦ : ١٢

" وبدأ خلق الانسان من طين" يعني آدم عليه السلام .

" ثم جعل نسله" أي ذريته " من سلالة" أي خلاصة

" من ماء مهين "ضعيف ثم " سواه" بتكميل أطواره وهيكله العظمي المادي .

" ونفخ فيه من روحه " أي أودع فيه سر الحياة وهو الجانب الذي بوجوده ينتقل من كونه جمادا الى كونه حيوانا متحركا .

" وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة " أي ركب فيكم هذه الادوات لتقوم عليكم الحجة ونعمة من الله وتكميلا لنعمته وتتميما لتسويته لخلقكم حتى تجتمع لكم النعم فتسمعون كل مسموع وتبصرون كل مبصر ، وتتعقلون كل متعقل وتفهمون كل مايفهم . ثم يعقّب الله بعد ذكر نعمه هذه باخباره عن حال الكافرين فيقول

" قليلا ماتشكرون" أي ثم انتم لا تشكرون بل تكفرون بآياتي ولا تؤمنون بالبعث والجزاء لانكم لا تتذكرون .

وبعد عرض هذا الدليل على امكان البعث وذكره سبحانه لنشأتهم الاولى المتمثلة في خلق أبيهم آدم ثم بيان كيفية تناسلهم من بعده وما أنعم به عليهم من القوى الظاهرة والباطنة التي لو استعملوها في التفكر والنظر بعيدا عن التعصب لما عليه الآباء وبعيدا عن الهوى لهداهم الله طريق الايمان به والايمان باليوم الآخر .

وبعد عرض هذه المقدمة من الاستدلال يورد سبحانه القضية المتنازع عليها فيبين أنه من غير المعقول أن يتركوا بغير بعث ولا حساب وذلك ظن الذين كفروا الذي أرداهم .

قال تعالى (وقالوا أءذا ضللنا في الأرض) أي اذا اختلطت أجسادنا في الأرض وتمزقت وتحولت الى جزيئات صغيرة .

" أئنا لفي خلق جديد) أي أئنا لعائدون بعد تلك الحالة الى حالتنا السابقة استبعادا

منهم واستنكارا للبعث . فيأتى الجواب حاسما وصارما .

(بل هم بلقاء ربهم كافرون) أضرب الله عن بيان كفرهم بانكارهم البعث الى بيان ما هو أبلغ منه وهو كفرهم بلقاء الله : فقال

(بل هم بلقاء ربهم كافرون) أى جاحدون له عنادا ومكابرة ولا سيما والبعض منهم يؤمن أن الله هو المبدى ولكنه يستنكر الاعادة ! !

(قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) فى هذه الآية يأمر الله نبيه أن يرد عليهم ويقول الذى يقبض أرواحكم هو ملك الموت الذى وكل بقبضها عند حلول الأجل .

(ثم الى ربكم ترجعون) وبعد الموت سوف ترجعون الى الله فيبعثكم ويحاسبكم وفى قوله تعالى : (الى ربكم " افادة الحصر وأن رجوعهم اليه وحده فهو الذى ينشرهم ويجازيهم على أعمالهم — وهم لا يقدرون على منع أنفسهم لا من الموت ولا من البعث والحياة مرة أخرى .

(ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم) أى لو ترى يا محمد منكرى البعث يوم القيامة لرأيت العجب " ناكسو رؤسهم " من الندم والخزى والحزن والذل . " عند ربهم " أى ~~حيث لا يرون شيئا يسوءهم مثل~~ عند العياذ بسيده عز وجل .

وفى الآيات اشارة الى البعث الجسمانى وهى بذلك تدفع المعنى المجازى التخييلى الذى يتوهمه الفلاسفة الاسلاميون .

قوله تعالى : (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون) هذا اعتراف من الكافرين بيوم البعث ولكنه فى غير وقته . والله سبحانه يعلم منهم الكذب فى دعواهم اذ لو رجعوا لعادوا لما نهو عنه . كما قال تعالى : (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، بل بدا لهم ما كانوا يخفون

من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) (١) .

ومن هذا المسلك نفيد أنه : لما كان المنكرون يستبعدون الاعادة ذكرهم الله بالبدء/ وأن من قدر على الخلق الأول سوف يقدر على الاعادة والبعث في اليوم الآخر اذ الخلق أمام القدرة سواء . والانسان في نفسه أقوى الحجج على نفي ماينكر من البعث فالله أحياه أولا ثم أماته ثانيا ولا تزال قدرته صالحة لاحيائه مرة ثانية وجمعه في يوم البعث والنشور ولكن الانسان شديد المراء والعناد .

وآيات الكتاب تخرس هذا النوع من الآدميين وتقيم عليهم الحجة والدليل على امكان البعث ووقوعه من خلال تذكيرهم بخلقهم الأول . والله أعلم .

---

(١) سورة الأنعام آية ٢٧ / ٢٨

ب — المسلك الثاني : عرض شبه المنكرين والرد عليها :

اهتم القرآن الكريم بهذا الجانب من جوانب عقيدة البعث . جانب الشبه التي كان المنكرون يتعللون بها ويعتمدون عليها فبينها أتم بيان ثم كرّ عليها بالحجج الدامغة حتى تركها هباء .

والمنكرون للبعث على امتداد تاريخهم هم جرثومة الفساد وخراب البلاد ، وهلاك العباد . وهم على اختلاف ملليهم وعصورهم سواء في خراب الضمائر وشؤم الحاضر والمستقبل . ونحن وان عرضنا فيما سبق عمق عقيدة البعث في الضمير البشري على امتداد تاريخه فان ذلك لا ينفي وجود الملحدين في كل عصر ومصر بل وجد من هؤلاء الكثير لا أكثرهم الله ، فقدماء المصريين وان عرف عنهم الايمان بالبعث فانه قد وجد بينهم من كان ينكره ولا يؤمن به ولا يقرب للمعابد ولا يقرأ كتاب الموتى بل كان يعيش لحاضره ولا يحسب حساب غده .(١)

وفي الفرس وكذا الهند — نعم الهند التي يكاد يطير احياؤها في الدنيا الى ما وراء العالم المادي ، والتي تحولت الأجسام فيها الى أشباح لطول ما تعشقت الروحانية في هذه البلاد وتلك ، ترددت أصوات تنكر البعث وتفتري على الله : أن لا بعث ولا حساب . يقول ول ديورانت :

" ان أسفار اليوبانشاد نفسها تدل على أنه قد كان بين الناس متشككون وقد كان الحكماء أحيانا يسخرون من الكهنة ثم قال : وفي سفر " سواسانفد " من أسفار اليوبانشاد تصريح بأنه لا اله ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا تناسخ ، ولا عالم " .

---

(١) انظر كتاب قصة الحضارة لول ديورانت ج ٢ ص ١٥٣ — ١٥٤

ويقول جابالى العالم البرهمى والسفسطائى الماهر فى الكلام :

" ان الكهنة بخبثهم قد صاغوا هذه الحكم وهم يقولون اذ هم ينظرون الى أغراض أنانية :

"قدم قربانك ، وتب الى الله ، واترك مالك الدنيوى واخلص الصلاة" ثم يقول هذا الملحد

"كلا ياراما — ليس هناحياة آخره ، وكلها أباطيل هذه الآمال وهذه العقائد عند الانسان ، فابحث عن لذائذ الحاضر واطرد عن نفسك هذه الأوهام العابثة الواهية "(١)

نعم انها مراكب الالحاد والضلال تسير بعضها خلف بعض ، وتمتد السلسلة النكدة الضالة عن هدى الله فتمر بالعرب قبل البعثة المحمدية فينكر معظمهم الآخرة والبعث بعد الموت ويظهرون آيات الانكار نثرا وشعرا .

وشبهة منكرى العرب هى : استبعاد اعادة الأجسام مرة ثانية بعد أن صارت ترابا ورفاتا كيف يعد هذا تبعث ، فظنوا أن الانسان اذا مات انعدم واذا انعدم فمحال أن يعود الى حالته الطبيعية التى كان عليها لأن الموت هو نهاية مطاف الانسان ! !

وظنوا أن الحياة والنعيم مقصوران على هذه الحياة الحاضرة . ومن هنا نشأ عندهم حب البقاء والتعلق بالأرض كما قال تعالى : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) (٢) .

---

(١) أنظر نفس المرجع السابق ج ٣ ص ٥٤

(٢) سورة البقرة آية ٩٦

ساد العرب قبل الاسلام انكار البعث ، ولذا يقول شداد بن الأسود ابن عبد شمس لقتلى المشركين يوم بدر :

فماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام
يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

وهو بهذه الأبيات يستبعد اعادة الحياة بعد الموت ولا سيما بعد أن تحولت روح الميت الى طير يحلق فوق قبره .(١)

ولما كانت الحالة هذه سائدة عند العرب سلك القرآن مسلكا كريما وعادلا فهو يعرض الشبهة أولا بانصاف ثم يعقّب ذلك بتقرير البعث وبيان زيف الاعتراض :

النموذج الأول :

١) قال تعالى : (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنّا لمبعوثون خلقا جديدا . قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا ، يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) (٢) .

بيان النص :

في هذه الآية يستبعد المنكرون للبعث اعادة أجسامهم ، ويعرضون شبهتهم قائلين : كيف يعود الانسان للحياة مرة ثانية اذا مات وسلبت منه الحياة وأصبح عظاما بالية متفتتة متناثرة ومتفرقة في زوايا الأرض ، واختلطت مكوناته

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٣٧
(٢) سورة الاسراء آية ٤٩ : ٥٢

الجسمية بأمثالها من العناصر . فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها ثم عـــود الحياة الى ذلك المجموع من جديد ؟ فأجاب سبحانه بأن اعادة الحياة اليها أمر ممكن ، وسهل ولا سيما وهذه الأجساد من اللحم والعظم بل لو فرض أن بدن الميت قد صـار أبعد شيء عن الأجساد الرطبة الغضة كأن أصبح حجارة أو حديدا . أو خلقا أكبـر من ذلك ، فان من أبدع خلقه أول مرة لن يعجز عن اعادته مرة ثانية . فالبدء والاعادة بالنسبة لقدرته واحدة وليس في قدرته شيء أسهل أو أصعب من شيء بل بمجرد توجـه الارادة الى الشيء يكون المراد كما قال سبحانه وتعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (١) مع أنه سبحانه قد قرر أن الاعادة أهون من البدء بقوله تعالى : (وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (٢) ولعل المراد : أي في منطقكم منطق القياس البشري وهو مايفهم من شطر الآية الآخر حيث نزّه سبحانه نفسه فقـال (وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) .

قوله تعالى : (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم) فـي هذه الآية يأمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يبلغهم هذا التعجيز والتحدي ويقول : كونوا ماشئتم ــ حجارة أو حديدا أو خلقا آخر هو أكبر منهما في نظركم .

قال القرطبي : قال الطبري : أي ان عجبتم من انشاء الله لكم عظاما ولحمـــا فكونوا أنتم حجارة أو حديدا ان قدرتم . .

وقال علي بن عيسى : معناه أنكم لو كنتم حجارة أو حديدا لم تفوتوا الله عز وجل اذا أرادكم ، الا أنه خرج مخرج الأمر ، لأنه أبلغ في الالزام .

---

(١) سورة يس آية ٨٢

(٢) سورة الروم آية ٢٧

وقيل : معناه لو كنتم حجارة أوحديدا لأعادكم كما بدأكم ، ولأماتكم كما أحياكم .

وقال مجاهد : المعنى كونوا ما شئتم فستعادون . قال النحاس : وهذا قول حسن ، لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة ، وانما المعنى أنهم قد أقروا بخالقهم وأنكروا البعث . فقيل لهم استشعروا أن تكونوا ما شئتم ، فلو كنتم حجارة أو حديدا لبعثتم كما خلقتم أول مرة " (١) .

وعلى أى حال فظاهر الآية التعجيز والتحدى لمنكرى البعث . والجواب : فانكم مبعوثون ومعادون للمجازاة على أعمالكم ولا محالة .

وهنا التفاتة يسجلها القرآن بعد ما سمعوا وأمعنوا فى الجحود فقالوا : أئذا كنا كذلك (من يعيدنا) أى من الذى يتولى اعادة أجسادنا بعد أن صارت عظاما بالية غير قابلة للحياة . فيأتى الجواب حاسما لشبهتهم لو كانوا يعقلون ، فيقول تعالى : (قل الذى فطركم أول مرة) أى الذى بدأ خلقكم على غير مثال سبق وأنتم تعرفون ذلك هو الذى سوف يعيدكم ! !

ومع وضوح الحجة فقد استولى عليهم الاستهزاء وأخذوا يحيصون كما قال تعالى : (فسينغضون اليك رؤوسهم)

قال ابن عباس وقتادة : يحركونها استهزاء (٢)

(ويقولون متى هو) اى متى يقع البعث ، وهكذا يتقلب المنكرون بين حجج واهية فمرة يقولون (من يعيدنا) استكبارا وعنادا ، ومرة يسألون عن زمن الاعادة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين " (٣) فيأتى الجواب (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب وليست العبرة بتقدمه أو تأخره بل المدار على أنه واقع لا محالة .

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٠ ص ٢٧٤ ط دار الكتاب العربى للطباعة القاهرة
(٢) ابن كثير ج ٣ ص ٤٥ الطبعة الحلبية (٣) سورة تبارك آية ٢٥

النموذج الثانى

٢) قال تعالى : (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ؟ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) (١) .

سبب النـــزول :

قال الواحدى قال المفسرون : ان أبى بن خلف أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم حائل قد بلى فقال : يا محمد ، أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم ؟ فقال : نعم ويبعثك ويدخلك النار ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟) (٢)

وذكر ابن كثير روايتين فى سبب نزولها .

تقول الأولى : انها نزلت فى أبى بن خلف

وتقول الثانية : انها نزلت فى العاص بن وائل

ثم قال : " وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت فى أبى بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما فهى عامة فى كل من أنكر البعث والألف واللام فى قوله : "أولم ير الانسان " للجنس يعم كل منكر للبعث" (٣)

---

(١) سورة يس الآيات من ٧٦ : ٨٣

(٢) أنظر كتابه أسباب النزول ص ٣٨٥ ط الأولى بتحقيق : السيد احمد صقر

(٣) ابن كثير فى التفسير ج ٣ ص ٥٨١ ط الحلبيه

بيـــان النـــص:

قوله تعالى : (أولم ير الانسان) الهمزة استفهام انكارى ، والواو عاطفة على مقدر أى أينكر الانسان البعث ولم ير ببصره شواهد قدرتنا فى خلقه .

(انا خلقناه من نطفة) أى أوجدنا خلقه الأول من ماء قليل وهو الدفقة الواحدة من المنى والمشتملة على ملايين الحيوانات المنوية ! !

يقول علماء الطب : ان لقاء حيوان واحد من الحيوانات المنوية للرجل مع بويضة المرأة يبدأ به الانسان أولى مراحل تكوينه .

(فاذا هو خصيم مبين) أى بعد تلك الأطوار التى تحولت من ضعف الى ضعف الى قوة أصبح يخاصم ويجادل أبين جدال وأبلغ خصام ، يجادل فى قدرة الله ويعجزها ان تعيد خلقه وبعثه . ويضرب لله الأمثال .

قال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) أى صفة غريبة عجيبة يعارض بها قدرتنا الثابتة بالدليل القاطع على اعادته فجعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق ثم بين سبحانه أن سبب ضربه للمثل واستبعاده للبعث هو ذهوله وعدم التفاته الى خلقه الأول وكان الأولى به أن لا يغفل عن ذلك لأنه دليل قوى وحجة بينة لامكان الاعادة لأن من قدر على البدء قدر على الاعادة .

والمثل المضروب هو قوله تعالى : (من يحيى العظام وهى رميم) وهذا استفهام انكارى لأن هذا المنكر قد قاس قدرة الله على قدرته البشرية فظن أن لا فرق بين القدرتين ، ولذا استبعد احياء الله للعظام بعد تفتتها واختلاطها بالأرض فكان الجواب :

(قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) فلا يخفى عليه ما تأكله الأرض ولا ما تبدده الرياح ولا مايذهب فى لجج البحار اذ لا يخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج ومن ذلك أجزاء بدن الانسان . وفى الآية دليل على أن البعث روحانى

وجسماني وان شبهة المنكرين هي استبعاد اعادة الأجساد بعد فنائها .

يقول الفخر الرازي : " ومنهم — أي المنكرين من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين :

أحدهما : أنه بعد العدم لم يبق شيء فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود .

وثانيهما : أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق العالم ومغاربه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه في جدران الرباع كيف يجمع ؟ بل لو أكل انسان انسانا آخر فكيف الاعادة ...؟

وقد رد على الشبهة الأولى بقوله (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا .

أما الشبهة الثانية : فقد أبطلها بقوله (وهو بكل خلق عليم) .

ثم ذكر الأجزاء الأصيلة في الانسان والاجزاء الفضلة والله عالم بكل ذلك فهو يعيد كل جزء الى صاحبه ثم يعيد فيه الحياة ..." (١)

ونرى القرآن يفيض في الرد على هذه الشبهة ويدفع استبعادها بما يرونه من عجائب قدرة الله التي توجد الضد من ضده . فها هي النار الحارة اليابسة تخرج من العود الرطب البارد وهذا شيء تعرفه العرب وتدركه من خلال بيئتها وذلك أن الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفار اذا قطع منهما عودان وضرب أحدهما على الآخر انقدحت منهما النار وهما أخضران !! .

قال تعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) أي تقدحون

---

(١) انظر التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٠٩ الطبعة الثانية . نشر دار الكتب العلمية — طهران

منه النار وتوقدونها من ذلك الشجر الأخضر ، وهذه دلالة عظيمة على كمال قدرة الله التي توجد الضد من ضده — فهذه الشجرة الخضراء التي يقطر ماؤها أحدث منها سبحانه بقدرته هذه النار المضادة لها وهذا أمر أعجب من اعادة الرطوبة والغضاضة للانسان بعد أن ييبس ويبلى ! !

قال ابن القيم رحمه الله :

" هذا دليل واضح جلي متضمن للجواب عن شبهة المنكرين بألطف الوجوه وأبينها وأقربها الى العقل فقال تعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) فاذن هذا دليل على تمام القدرة واخراج الأموات من قبورهم كما أخرج النار من الشجرة الخضراء . ثم قال وفي ذلك جواب عن شبهة من قال من منكري المعاد : الموت بارد يابس ، والحياة طبعها الرطوبة والحرارة . فاذا حل الموت بالجسم لم يمكن أن تحل فيه الحياة بعد ذلك لتضاد بينهما .

ثم قال : وهذه الشبهة تليق بعقول المكذبين الذين لا سمع لهم ولا عقل ، فان الحياة لا تجامع الموت في الرحل الواحد ليلزم ما قالوا بل اذا أوجد الله فيه الحياة وطبعها . ارتفع الموت وطبعه ، وهذا الشجر الأخضر طبعه الرطوبة والبرودة تخرج منه النار الحارة اليابسة " (١) .

وما أشار اليه ابن القيم هو عين الحقيقة وان البعث بعد الموت ليس جمعا بين الضدين ذلك أن الممتنع هو الجمع بين الضد وضده في آن واحد / أي بأن يكون في محل واحد الانسان حيا وميتا في وقت واحد وليس هذه حال البعث بعد الموت لأنه حياة بعد الموت لا مع الموت . فحينما حل بالجسم الموت ارتفعت الحياة فبقي ميتا الى حين

---

(١) انظر كتابه اعلام الموقعين ج ١ ص ١٤٣ ط مكتبة الكليات الازهرية

البحث ، فلما عادت اليه الحياة مرة ثانية ارتفع عنه الموت .

وهكذا يقطع القرآن هذه الظنون ثم يعرض جانبا آخر من جوانب العظمة والقدرة فيقول : (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) بمعنى أن من قدر على خلق السماوات والأرض وهما فى غاية العظمة وكبر الاجزاء يقدر على اعادة خلق البشر الذى هو صغير الشكل ضعيف القوة .

ويجيب سبحانه عما افاده الاستفهام التقريرى بقوله : (بلى وهو الخلاق العليم) أى أنه سبحانه قادر على أن يخلق مثل الانسان لاتصافه بكثرة الخلق وكثرة الخلق تدل على كمال القدرة . والاتصاف بصفة العلم والعلم الشامل بجزئيات الأشياء وكلياتها كما قال تعالى : حكاية عن لقمان : (يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) (١) .

ومن اتصف بكمال القدرة وكمال العلم فانه لن يعجز عما يريد . ومن هنا قطع القرآن القول بالنسبة لقدرة الله بما قرره فى قوله سبحانه : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . ومن كانت هذه صفته فكيف يستبعد عليه اعادة الخلق مرة ثانية ان كل عاقل ومنصف يقول بقول الله تعالى : (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) .

فالسماوات ملكه والأرض ملكه وما بينهما ملكه والانسان ملكه فاذا شاء أن يرجعه اليه أرجعه وليس له حول ولا قوة وانما الحول والقوة لله سبحانه وتعالى بل قد حصر الله المصير اليه وحده فقال : " واليه ترجعون " ، أى تصيرون وتعودون للمحاسبة والمجازاة .

---

(١) سورة لقمان آية ١٦

النمـــوذج الثالث :

قال تعالى : (ق والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قدعلمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمرمريـــج . أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لهـا طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (١) .

بيـان النـص :

يقسم الله تعالى بالقرآن (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وجواب القسم هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبـات النبوة واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه

(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي تعجبوا من ارسال الله لهم رسولا من البشر وهذا شيء ليس بعجيب لأن الله يصطفي مـن الملائكة رسلا ومن الناس . ثم قال سبحانه وتعالى مخبرا عنهم في تعجبهم أيضـا من المعاد واستبعادهم لوقوعه : (أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) أي أئـذا متنا وبلينا وتصورنا بصورة التراب . كيف يمكننا الرجوع بعد ذلك الى هذه البنيـة والتركيب الدقيق؟" ذلك رجع بعيد " أي ان ذلك أمر مستبعد ومستحيل لا يقـدر عليه " . (٢) انتهى بتصرف .

---

(١) سورة ق الآيات ٢ : ١١
(٢) انظر ابن كثير في التفسير ج ٤ ص ٢٢١

والقرآن وهو يعرض هذه الشبهة يكر عليها ويبين بطلانها ويقرر امكان البعث وثبوت وقوعه وذلك بأدلة معنوية وحسية تخاطب العقل وتثير الوجدان .

نعم لما كان استنكار الكفار لقضية البعث من حيث استحالة اعادة الأجساد فى نظرهم بعد تفرقها وتمزقها واختلاطها بالتراب حتى تصورت بصورته ، وجعلهم ذلك من المستحيلات . أخبر الله تعالى عن صفتين عظيمتين من صفاته يتوقف عليها الايمان بالبعث :

الأولى : العلم :

فقال تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) أى ما تأكله من أجسادهم فى البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الابدان وأين ذهبت والى أين صارت . وسواء كانت فى البر أو فى البحر فانا نعلمها .

(وعندنا كتاب حفيظ) أى حافظ لذلك . فالعلم شامل والكتاب أيضا فيه كل الأشياء مكتوبة ومحصاة ومحفوظة .

قال العوفي قال ابن عباس : " أى ما تأكله من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم (١)

وهذه الصفة من لم يؤمن بها لا يتصور البعث الجسدى .

وقد تضمنت هذه الآية الرد على المنكرين لكمال علم الله بالجزئيات . من الفلاسفة وكذلك العرب قبل الاسلام وكذا القدرية القائلين بأن الأمر أنف . وهى تقرر دقة علمه سبحانه واحاطته . وأنه لا يخفى عليه خافية ، لأن من لا يتصور شمول علم الله لا يمكن أن يتصور البعث الجسدى . وتقرر جهل المنكرين بصفة من صفات الله وهى العلم . فلو كان هؤلاء المنكرون يؤمنون بسعة علم الله وشموله ودقته لما أنكروا ذلك ، وهناك سبب آخر

---

(١) أنظر ابن كثير فى التفسير ج ٤ ص ٢٢٣

وهو كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد كما قال تعالى : (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) أي وهذا حال من خرج عن الحق وابتعد عن الصراط المستقيم مهما قال فهو باطل لأنه قد التبس عليه أمره واختلفت عليه أحواله !

الثانية : القدرة :

بعد أن بين سبحانه شمول علمه واحاطته وبين سبب اضطرابهم في أمر البعث الجسماني لفت نظرهم الى أدلة أخرى تبين صفة أخرى من صفاته وهي صفة القدرة فضرب أمثلة حسية مشاهدة هي في حد ذاتها مظهر من مظاهر القدرة وأثر من آثارها فقال : " أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج " .

انها آثار القدرة الكاملة : فهذه السماء المرفوعة بغير عمد والمحكمة البنيان والمزينة بالنجوم الزاهرة . وهذه الأرض الممدودة التي يطأ عليها الانسان وما فيها من جبال راسية وما يحتاجه من قوت ومسكن ومتعة والمهيأة لسكناه فلا اضطراب ولا تزلزل . كلها آثار من آثار القدرة الكاملة . نعم الأرض بما فيها من جبال ونبات مختلف . والسماء وما فيها من احكام وزينة تدلان على قدرة من خلقهما وأنه لن يعجز عن اعادة خلق الانسان الذي هو أصغر منهما بكثير .

قال تعالى : " أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) (١) .

---

(١) سورة الاحقاف آية ٣٣

ويضرب الله للانسان مثلا آخر يدل على قدرته على الاحياء والبعث فيقول :

" ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد .. الخ " وهذا المثل يعرف الانسان بالحقيقة ويقرب له الادراك !! هذه الأرض كانت هامدة ويابسة ليس فيها حياة لنبات ولكنها سرعان ما تتغير بعد نزول المطر فتنبت من كل نوع حسن فيشاهدها الانسان وهي تتفتح عن النبات ، والنبات يربو ويرتفع حتى يكتمل المنظر ويحين اقتطافه وهذا مثل محسوس ملموس على قدرة الله تعالى على اعادة هذا الانسان ، فكما أحيى هذه الأرض الميتة بهذا الماء المبارك فانه يحيي الانسان !! ولذا قال تعالى :

(كذلك الخروج) أي مثل اخراج النبات من الأرض بعد نزول المطر يحيي الله الانسان ويبعثه يوم القيامة للحساب والجزاء . وهذا المثل آية يضربها الله للانسان ليدرك صفة البعث ، ولذا قال في آية أخرى : (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحي الموتى انه على كل شيء قدير) (١) .

والحقيقة التي لايماري فيها الا من سفه نفسه هي ثبوت المعاد . والقرآن وهو يقرر هذه الحقيقة قد استجمع شبه المنكرين ورد عليها بأوضح عبارة وأقوى حجة ، تلك الحجج والبراهين التي لا تدع مجالا للشك عند العقل السليم في امكان وقوع البعث وعدم استبعاده .

وأما ما استند اليه المنكرون للبحث فقد رأينا زيف ذلك وبطلانه اذ كل ما عندهم ظنون وأوهام لا تقوم على برهان بين .

والقرآن وهو يناقش هذه الشبهة يتحدى المنكرين في كل قطر ومصر ، وفي كل زمان ومكان .

---

(١) سورة فصلت آية ٣٩

اذ هو معجزة الله الخالدة وآيته الباقية الى قيام الساعة ٠

والمادية الحديثة ليس لانكار هاوزن عند من يعرف تاريخها اذ هى رد فعل على رجال الكنيسة الذين لم يعيروا الدنيا اهتماما بل ظنوا أن الاكتشافات العلمية الحديثة كفر يبعد عن الكنيسة نفسها وعن القيم الروحية ٠

نعم لا تعير للحياة وزنا الا بمقدار مايحاول المرء فيه خلاصه وليس لها قيمة ذاتيـــة ولا تستحق الاهتمام ولذلك خلت الأنظمة الكنسية من مواد تنظيم الحياة فى مجالات كثيرة ٠ فلما كانت النهضة الأوربية كفر الماديون بالآخرة لأنهم رأوا أنها مضادة للدنيا ولم يفهموا عنها الا ما كانت الكنيسة تمليه عليهم ٠ أى أن تطرف الكنيسة فى احتقار الدنيا أدى الى تطرف الماديين فى انكار الآخرة وحصر كل الاهتمامات والجهـــود فى الدنيا وحدها وتنكروا للدين وشرائعه السامية ٠

يقول : جورج سول :

" سيطرت فكرة الآخرة على المذاهب السائدة خلال العصور الوسطى وان لم تسيطر دائما على العادات والتقاليد ٠ فالمجال الدنيوى بما فيه الحياة الانسانية نفسها ليس سوى مكان يستعد فيه الناس للحياة بعد الموت بما تشتمل عليه من عقاب وثواب ٠ فكان على المرء أن يتحمل الألم وهو عالم أنه ليس الا مقدمة لمايتوقع فى حياة مستقبله ٠ أما الدافع الفكرى على تقديم العادات أو زيادة الرفاهية الدنيوية فكان ضئيلا ٠٠

والآن — أى فى القرن الثامن عشر — تحول الاهتمام فأصبح محصورا فى تحسين الحياة على الأرض وكشفت العلوم والمخترعات عن امكانيات الأرض لذاتها ٠ لقد كانـــت المكاسب المادية ظاهرة فى كل شىء ، وكان لا حد لها من حيث وجود أساليب أفضل وأيسر لانتاج الأشياء وسرت روح المغامرة !!

وهنا برز السؤال التالى : أليس فى وسع الفلسفة أن تعالج النظم البشرية بنفس

الطريقة التى تدرس بها الأشياء المادية ؟

وكان الجواب بالامكان .. وراح الكثيرون يصوغون الخطط والمشروعات التى تكفل قيام الحياة المثالية أو اليوتوبيا . " تأليه الطبيعة " وصار لزاما على الذين نبذوا الايمان بالله كلية أن يبحثوا عن بديل لذلك . ووجوده فى الطبيعة . أما الذين ظلوا على استمساكهم بالدين ولو باللسان وان لم يكن فى الواقع كما فعل أغلبهم فقد اعتقدوا أن الله يعبر عن ارادته عن طريقة الطبيعة وقوانينها وليس بوسيلة مباشرة " (١) .

نعم كان الكفر رد فعل أولا ثم تطور حتى أصبح له نظمه وقوانينه . ومقصودنا أن نعرف أنه ليس هناك شبهة حقيقية تقف أمام الانسان وتحجبه عن الايمان بالله والايمان بالبعث بل من ينكره ما بين مضلل عن الحق أو مقلد لغيره أو أحمق لا يتفكر بعقله السليم ولا يسترشد بوحى معصوم . وهذا من جنس النوع الذى وصفه الامام الغزالى حيث قال :

وفرقة وهم جماهير لا يعرفون بأسمائهم ولا يعدون فى زمرة النظار ذهبوا الى أن الموت عدم محض وأن الطاعة والمعصية لا عاقبة لهما ، ويرجع الانسان بعد موته الى العدم كما كان قبل وجوده — وهؤلاء لا يحل تسميتهم فرقة . فان الفرقة عبارة عن جمع وليس هذا مذهب جمع ولا منسوبا الى ناظر معروف بل هو معتقد أحمق غلبت عليه شهوته واستولى عليه شيطانه فلم يقدر على جمع هواه ولم تسمح له رعونته بأن يعترف بالعجز عن مقاومة الهوى فيعلل لنقصانه بأن ذلك واجب وأنه الحق " (٢) .

قلت وقد كثر هذا النوع وصارت لهم عقائد وفرق لا أكثرهم الله .

---

(١) انظر كتابه المذاهب الاقتصادية ص ٥٠ ، ٥١

(٢) انظر كتابه ميزان العمل ص ١٥/١٦ ط مكتبة الجندى

يقول جمال الدين الأفغاني : متحدثا عن الدهرية القدماء والماديين المحدثين: "النيتشرته "جرثومة الفساد ، وأرومة الاداد ، وخراب البلاد وبها هلاك العباد "(١) قلت : ومهما يكن فان هذه النظرات المادية قد نقدها العقلاء من الكفار أنفسهم وتهكموا من سخف ناظريها الذين ألغوا معنى الحياة وقيمتها .

يقول جود متهكما ممن يرون تفاهة الحياة الدنيا ولا يؤمنون بقدسيتها :

"ان هذه النظرة (٢) تخالف ما درج عليه الانسان بصورة طبيعية من اعتقاد بأهمية الحياة عامة ، وأهمية الحياة الانسانية خاصة لاسيما كما تتمثل هذه على صور التعبير عنها وهي العقل ، فقد أبطل كوبرنيكس فضل الأرض بين الكواكب في الكون ، وأبطل دارون فضل الانسان على بقية الأحياء في الأرض ، وأبطل علم النفس المادي فضل العقل بين مختلف نشاط الانسان ، وذلك الاتجاه الذي بدأ به علم الأحياء وعلم النفس لانتقاص الحياة عامة والحط منها وجد مايؤيده في علم طبقات الأرض وعلم الفلك فقد زاد علم الطبقات من عمر العالم وزاد علم الفلك من مجموعه واتساعه ، ففي تلك الاتساعات الشاسعة من المكان كما يتصوره علم الفلك . وفي تلك الامتدادات الطويلة من الزمن كما صوره علم طبقات الأرض ليست الحياة الا لمعة ضئيلة أو بصيصا باهتا سيكتب عليه أن ينطفئ يوما ما .

ثم قال : "فاذا كان الماديون على حق فلا ينبغي أن نعد الحياة شيئا مهما في صميم الكون — بل انها لا تعدو أن تكون حصيلة ثانوية قذف بها سير التطور مصادفة واتفاقا أو هي تحوير عرضي للمادة أصبحت بموجبه تملك الشعور بذاتها فكأنها المسافر الغريب يطرق أرضا غير مأمونة تتربص له العداوة في كل جانب منها وسيكتب

---

(١) الرد على الدهرية ص ٣٧ — ط — دار الكرنك — القاهرة

(٢) يعني النظرة المادية للحياة

عليه يوما أن يختم الرحلة ويستسلم لمصيره الأليم بهدوء كما بدأ أول مرة في سورة (الانبيا) !! (١) .

وقد سبق أن عرضنا لأهمية الحياة وأنها ذات قيمة ومعنى وأن الانس والجن خلقوا فيها لغاية شريفة وهي عبادة الله تعالى . وفي ما ذكر كفاية في الرد على هؤلاء الدهرية والماديين جميعا في كل زمان ومكان ، وانما سقنا هذا النقل ليكون زيادة في الحجة القائمة على كل منكر وجاحد للبعث والجزاء في الدار الآخرة .

---

(١) انظر كتابه منازع الفكر الحديث — تحقيق عباس فضله . نشر المجمع العلمي العراقي ص ٣٩ — ٤٠

المسلك الثالث : اخباره تعالى بوقوع البعث اخبارا مجردا :

تحدثنا في المسلك الاول عن الطريقة التي سلكها القرآن الكريم في اثبات المعاد ، وأنه اتخذ مسلك عرض الدليل على امكان البعث سياق مشاهد عظمته ومظاهر قدرته في آفاق الكون وخلق الانسان والحيوان والنبات ، وبعد وضوح الدليل وتقريره يقرر ثبوت الاعادة .

وفي المسلك الثاني يعرض شبهة المنكرين ثم يكر عليها بصواعق الادلة حتى يظهر عوارها ويبين زيفها . ولكنه هنا يسلك طريقة أخرى في تقرير هذه القضية فهو يخبر خبرا مجردا عن ذكر الدليل ، وربما ألمح اليه من بعيد باشارة يدركها الذكي ، وهو في الغالب يطوى الدليل ولا يصرح به في نفس الموطن لانه صرح به في مواطن أخرى . وهذا أسلوب من الاساليب المعروفة في القرآن الكريم ، والقرآن بعضه يفسر بعضا .

نماذج لهذا المسلك :

النموذج الاول :

قال تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (١) .

بيان النص :

في هذه الآية يخبر تبارك وتعالى عن حال الكفار وأنهم يزعمون أن لا بعث ولا حساب أبدا ثم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم ويكذبهم ويبطل زعمهم فقال : " قل بلى وربى لتبعثن " .

---

(١) سورة التغابن آية ٧

قال الشوكاني رحمه الله : " بل هي التي لايجاب النفي ، فالمعنى : بل تبعثون . ثم أقسم على ذلك وجواب القسم لتبعثن : أي لتخرجن من قبوركم (ثم لتنبؤن بما عملتم) أي لتخبرن بذلك اقامة للحجة عليكم ثم تجزون به (وذلك على الله يسير) اذ الاعادة أيسر من الابتداء "(١) .

وقال ابن كثير رحمه الله " هذه الآية هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد فالاولى قوله تعالى : (ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين) . (٢)
والثانية قوله تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) (٣) .
والآية الثالثة هي هذه (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) (٤) .

ولعلك أيها القارئ الكريم ترى في هذا الاسلوب نوعا جديدا من أنواع الاقناع ، فهو في هذا النموذج يذكر البعث دون أن يسرد معه أدلته أو يؤكد بشئ من البراهين حقيقته . وكأنه يقول : ان العلم بالبعث أصبح قضية مفروغا منها وأصبح الاستدلال عليها واضحا في الاذهان ، وأصبحت الشبهات المثارة ضده أقل من أن يلتفت اليها فلا داعي الى تكرار الادلة وحشد البراهين في كل موضع ! ! !

---

(١) انظر فتح القدير ج ٥ ص ٢٣٦
(٢) سورة يونس آية ٥٣
(٣) سورة سبأ آية ٣
(٤) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٤

النموذج الثاني : نفي الكفار المنكرين لمجيء الساعة :

قال تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين . ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ، والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم) (١) .

بيان النص :

قوله تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) المراد بهؤلاء المنكرين : قيل جنس الكفرة على الاطلاق . وقيل كفار مكة على الخصوص ، والآية عامة . والمراد ان هؤلاء الكفرة يستبعدون وقوع الساعة وينفون صحة مجيئها ، ويزعمون أنها لا تأتي بحال من الاحوال فانكارهم انكار لوجودها لا لمجرد اتيانها في حال تكلمهم أو في حال حياتهم مع تحقق وجودها فيما بعد : وهذا النفي منهم يدخل فيه نفيهم البعث ضمنا .

قال ابن الجوزي رحمه الله : " وقال الذين كفروا " يعني منكري البعث . (لا تأتينا الساعة) اي : لن نبعث " (٢) .

قوله تعالى : (قل بلى وربي لتأتينكم) اي قل يا محمد مقسما بربك : الساعة آتية . وهذا أمر أيضا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالقسم على مجيء الساعة المتضمن لمجيء البعث وهو قسم موصوف بما يؤكده قال تعالى : (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) . قال ابن كثير رحمه الله قال مجاهد وقتاده :

---

(١) سورة سبأ اية ٣ : ٥

(٢) انظر تفسير زاد المسير في علم التفسير ج ٦ ص ٤٣٢ ط المكتب الاسلامي

" لا يعزب عنه لا يغيب عنه أى الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شىء فالعظام وان تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فانه بكل شىء عليم " (١)

وبعد هذا التقرير لوقوع البعث يذكر تعالى الحكمة منه فيقول تعالى :

(ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) أى الساعة آتية وفائدة مجيئها جزاء المؤمنين بالثواب والكافرين بالعقاب .

والاشارة بقوله (أولئك) الى الموصول أى أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات (لهم مغفرة) لذنوبهم و (رزق كريم) وهو الجنة بسبب ايمانهم وتصديقهم بلقاء الله وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه وتعالى .

ثم ذكر جزاء الكافرين النافين للبعث والمكذبين بمجىء الساعة فقال : (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين) أى سعوا فى ابطال آياتنا المنزلة على الرسل ، وقدحوا فيها وصدوا الناس عن سماعها .

ومعنى (معاجزين) أى مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا ولا يدركون بتكذيبهم بالساعة .

قوله : (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) أى أولئك الذين تقدمت صفتهم " لهم " أى جزاؤهم " عذاب اليم " أى شديد ، عياذا بالله من ذلك .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٢٥

النموذج الثالث : اخباره تعالى ببعث من في القبور .

قال تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر . خشّعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر) (١) .

بيان النص :

قوله تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر) أي اعرض عنهم وانتظرهم " يوم يدع الداعي الى شيء نكر " أي الى شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وهول المطلع يوم القيامة وما فيه من البلاء بل والزلازل والاهوال والاحوال التي تخشع فيها الابصار كما قال تعالى " خشعا أبصارهم " قال القرطبي رحمه الله : الخشوع في البصر الخضوع والذلة وأضيف الى ذلك لان أثر العز والذل يتبين في ناظر الانسان " . (٢)

قوله تعالى : (يخرجون من الاجداث) اى يخرجون من القبور واحدها جدث . وصفتهم لكثرتهم وسرعة انبعاثهم كما قال تعالى : (كأنهم جراد منتشر) أي : كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم الى موقف الحساب اجابة للداعي كأنهم جراد منتشر في الآفاق .

قوله تعالى : (مهطعين) أي مسرعين (الى الداع) أي لا يخالفون ولا يتأخرون .
قوله تعالى : (يقول الكافرون هذا يوم عسر) يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله : " المراد بذلك الذين قد حضر عذابهم أي يوم القيامة يقولون " هذا يوم عسر" كما قال تعالى : (على الكافرين غير يسير) ومفهوم ذلك أنه يسير على المؤمنين (٣) " .

---

(١) سورة القمر آية ٦ ، ٨
(٢) انظر التفسير القرطبي ج ١٧ ص ١٢٩ بتصرف
(٣) انظر تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان ج ٨ ص ٥١ طبعة المطبعة السلفية

وهذه الآيات التي يخبر الله تعالى فيها عن اخراج الاموات من قبورهم تدل على أن المبعوث هو عين الانسان الاول الذي مات ودفن في القبر ، فالله سبحانه وتعالى يأذن له بالخروج منه اذا حان وقت ذلك كما قال تعالى : (واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . انا نحن نحي ونميت والينا المصير . يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير) . (١)

وقال عز وجل : (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون . فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) . (٢)

وغير ذلك من الآيات التي تعرض لذكر اخراج الاموات من قبورهم وهذه الاخبار في الغالب مجردة عن ذكر الدليل على البعث وهي كثير في القرآن الكريم وأحد مسالكه التي سلك في اثبات هذه العقيدة الايمانية العظيمة .

المسلك الرابع : البعث الحسي :

لم يقتصر القرآن الكريم على أسلوب معين في اثبات البعث وانما سلك جميع وسائل الاقناع وسبل التوجيه ، وكان من ضمنها ضرب الامثال ، وعرض قصص النشور التي أجراها الله على أيدي أنبيائه ورسله أو بعض خلقه لحكمة وذلك لما لهذا القصص وتلك الامثال من أثر بالغ في تقريب امكان البعث وايصاله الى ذهن السامع . والنفس من طبيعتها الأنس بالامثال والنظائر . .

---

(١) سورة ق آية (٤١ : ٤٤
(٢) سورة يس آية (٥١ : ٥٤

واذا أمعنا النظر فى هذا المسلك القرآنى نجده يعطينا معنى كريما وحكمة بالغة ونهجا جميلا يعبر منه الكلمة الطيبة الى النفس البشرية فتلمسها الحقيقة وتدلها على الرشد فى اسلوب تحبه وتأنس به لقربه من حسها ودنوه من ادراكها . ولا سيما حينما تؤمن بصدق أخبار القرآن وواقعية قصصه وأمثاله . وتوقن أنها مشاهد محسوسة تناقلها الأجيال عن الاجيال على تعاقب الليل والنهار خلفا عن سلف ، وتحدثت عنها الكتب السماوية . فهى بعيدة عن الخيال ومنزهة عن الافتراض . نعم انها تعطينا أدلة حية وبراهين محسوسة على امكان البعث واليك نماذج من هذا المسلك .

أ - قصة العزير :

قال تعالى : (أو كالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنّى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مئة عام ثم بعثه . قال كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم . قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه ، وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما . فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) . (١)

بيان النص :

اختلف فى هذا الرجل : فقيل هو عزير وقيل : حلقيا ، وقيل : رجل من بنى اسرائيل (٢) . وعلى أى تقدير فقد رأى هذا الرجل الطاهر قرية هامدة لا حركة فيها ولا حياة ، واستبعد عودة الحياة اليها مرة ثانية فقال : (أنّى يحى هذه الله بعد موتها) أى من أى طريق وأى سبب أو كيف يحيى الله هذه القرية وسكانها بعد خرابها وذهاب الحياة والاحياء منها ؟

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٤

وهو بهذا التساؤل يستبعد قدرة الله تعالى على احيائها وعودتها الى ما كانت عليه من الحياة والعمار .

فضرب الله له المثل من نفسه ليعود الى رشده فقال تعالى " فأماته الله مائة عام ثم بعثه " أى قبض الله روحه وأخرجها من جسده وبعد مائة عام أعادها اليه وأراه عجائب قدرته وبدائع صنعته فى نفسه وطعامه وشرابه فقال تعالى :

" فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه " أى لم يتغير مع طول المكث الذى عرف عادة أنه يغير الطعام فيتعفن ويغير الماء فيأسن ثم قال تعالى :" وانظر الى حمارك " أى كيف أعدنا اليه الحياة بعد الموت والحركة بعد السكون وكل ذلك فعلناه " ولنجعلك آية للناس " أى لتكون علامة مشاهدة وآية محسوسة على قدرتنا على البعث الذى تنكره وينكره غيرك ((

قوله تعالى : (قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) أى أنا عالم بهذا وقد رأيته عيانا وقيل هو أمر له بالعلم .

وعلى أى حال فالآيات برهان على امكان البعث وان من قدر على الاحياء بعد مائة سنة لا يعجزه ان يعيد الخلق بعد مئات السنين أو ألوفها ((

النموذج الثانى : قصة ابراهيم عليه السلام مع الطير :

قال تعالى : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى ؟ قال : أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم)(١)

بيان النص :

فى هذه الآيات يقص البارى تعالى قصة عبده ابراهيم عليه السلام وما أجراه

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠

الله على يديه من احياء الطير .

قال ابن كثير : ذكروا لسؤال ابراهيم عليه السلام أسبابا منها أنه لما قال النمرود (ربى الذى يحى ويميت) أحب أن يترقى من علم اليقين بذلك الى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة . فقال : " ربى أرنى كيف تحى الموتى " (١)

قوله تعالى : " أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى " فى الآية دليل على أن ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا فى القدرة على الاحياء ، وانما أحب الاطلاع على مشاهد العظمة فى صفة الاحياء ليزداد ايمانا مع ايمانه .

قال تعالى "فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا" أى أجر عملية التقطيع والتمزيق لاربعة من الطيور بحيث لا يتميز لحم طير وعظمه عن الاخر ثم فرق هذه القطع على عدة جبال .

قال تعالى : " ثم ادعهن يأتينك سعيا " أى ناد هن باسم الله تعالى وسوف ترى قدرتنا على الاحياء بعد أن كن كالعدم .

قوله تعالى : " واعلم أن الله عزيز حكيم " أى عزيز لا يغلب فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وحكيم فلا يفعل الا ما فيه الحكمة والمصلحة لعباده .

النموذج الثالث : قصة أهل الكهف .

قال تعالى : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣١٥

(٢) سورة الكهف آية ٩ : ١٢

بيـــان النـــص :

في هذه الآية يخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن أهل الكهف وأن أمرهم ليس بعجيب بالنسبة لقدرته تعالى لأن آياته في الكون أعظم وأعجب من قصتهم .

والقرآن وهو يتحدث عن هؤلاء الفتية يذكر من خبرهم أنهم مجموعة من الشبـان آمنوا بالله واعترفوا بوحدانيته ، فلما آذاهم قومهم الذين عكفوا على عبادة الاصنام والاوثان من دون الله هربوا منهم ولجأوا الى غار في جبل وسألوا الله أن يحفظهم ويهيء لهم الخير قال تعالى :

(فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا) أي واجعل عاقبتنا خيرا .

وقوله تعالى : (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) أي ألقينا عليهم النوم ليستريحوا من همّ الفتنة .

وقوله تعالى : (ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) ، أي أحييناهم برفعنا النوم عنهم ليظهر معلومنا فيهم أيهم أضبط لمدة اللبث .اهـ

وهكذا تتجلى قدرته تعالى على احياء هذه الفئة المؤمنة التي ضرب عليهم النوم لمدة طويلة من الزمن ثم أحياهم بعد ذلك ورد اليهم كامل صحوهم ليكونوا عبرة لغيرهم ، وآية على البعث كما قال تعالى (وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم الخ الآية .(١)

قال ابن كثير قال غير واحد من السلف : "انه كان قد حصل لاهل زمانهم شك في البعث ، وفي أمر القيامة .

---

(١) سورة الكهف آية ٢١

وقال عكرمه : " كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ". (١)

ومن هنا نعلم أن قصص الاحياء والاماتة أحد براهين البعث التى يستدل بها على امكانه .

قال الشنقيطى : " اعلم ان براهين البعث التى يكثر القرآن فى الاستدلال بها أربعة :

الاول : خلق السموات والارض ...

الثانى : خلق الانسان أولا ...

الثالث : احياء الارض بعد موتها ...

الرابع : احياء الله بعض الموتى فى دار الدنيا - لان من أحيا نفسا واحدة بعد موتها قادر على احياء جميع الانفس قال تعالى :

(ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) .

ثم قال رحمه الله : " وقد ذكر جل وعلا هذا البرهان فى سورة البقرة فى خمسة مواضع :

الاول : قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) .

الثانى : قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى لعلكم تعقلون) .

الثالث : قوله تعالى (فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم)

الرابع : حادثة العزير .

الخامس : حادثة ابراهيم عليه السلام " (٢) .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٧٧

(٢) انظر اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الامين الشنقيطى ج ٣ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ط مطبعة المدنى بمصر .

وهنا نلحظ أن براهين الاحياء والاماتة دعامة قوية من دعائم الايمان . فهي لم تحصل في زمن واحد أو لجيل واحد معين وانما يجريها الله تعالى في فتـــرات متغايرة ولأجيال بعـــد أجيال لتكون برهانا على البعث ودلالة عليه ، والله أعلـــم .

ثانيا : أدلة البعث من السنة :

جاءت السنة حافلة بذكر البعث والجزاء ، وهي بذلك تقرر ما قرره القرآن المجيد وتؤكد ما أكده من سموّ هذه العقيدة وأهميتها . ولعل السبب في ابرازه صلى الله عليه وسلم لهذا الجانب العظيم من الدين ما يأتي :

أ - ما كان يلقاه صلى الله عليه وسلم من عناد المنكرين وتكذيب الكافرين بحشر الأجساد كما قال تعالى حكاية عنهم : (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (١) .

ب - أن الايمان بالبعث لمن أقوى الدوافع على العمل الصالح ، فهو أشبه شيء بالتيار الكهربائي الذي يسري في الأسلاك ويضيء ما علق به من مصابيح أو يحرك ما اتصل به من آلات .

جـ - صدور التكليف الرباني اليه بأن يبلغ هذه العقيدة للخلق وان يعرض عن كل من أراد صده عن تبليغها ولم يرد الا الحياة الدنيا قال تعالى : (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) (٢) .

لعل ذلك ما دفعه صلى الله عليه وسلم ليعرض في حديثه لذكر البعث ، ويبني على ذلك مواعظ عميقة ، وتوجيهات نافعة ، وعقائد ايمانية راسخة .

ولهذه أيها القارىء نماذج من أقواله صلى الله عليه وسلم :

١ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أخبرني عن الايمان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة ق آية ٢ / ٣
(٢) سورة النجم آية ٢٩ / ٣٠

وسلم : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " (١) .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله : ما الايمان ؟ فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته ولقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث الآخر " (٢) .
وفي رواية مسلم : " وتؤمن بالبعث الآخر " (٣) .
ففي قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاول : " وتؤمن باليوم الآخر " التصريح بأن الايمان باليوم الآخر جزء من الايمان ، فما لم يكن لا يكن الايمان .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثاني : " وتؤمن بالبعث الآخر " الاشادة بالبعث وأنه أهم قضية من قضايا اليوم الآخر .
وفي وصفه صلى الله عليه وسلم البعث " بالآخر " تصريح بأن المراد بالبعث موجد يوم القيامة لا ما دونه من البعوث (كبعث الروح الى جسدها في البرزخ .

قال النووي رحمه الله : " وأما وصف البعث بالآخر " فقيل للمبالغة في البيان والايضاح وذلك لشدة الاهتمام به . وقيل سببه أن خروج الانسان الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر للحشر بعث من الارض . فقيد البعث بالآخر ليتميز " (٣)

قلت : ولو لم يحصل التقيد بالآخر بما حصل لبس في الأذهان ولكنه صلى الله عليه وسلم بوصفه هذا أزال اللبس وبين المراد .

---

(١) صحيح مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٥٧
(٢) صحيح البخاري انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ج ١ ص ١١٤
(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٢

وفي قوله صلى الله عليه وسلم " وتؤمن" عند ذكر البعث دلالة على الاعتناء بالايمان به ، وأنه أحد أركان الدين فلا يتم الايمان الا به ولا يوجد بغيره .

٣ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فمن أهل النار . فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " (١) .

وعند مسلم : " حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة " (٢) .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم : " حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة " دليل على البعث الآخر ، وأنه مصير كل عبد من عباد الله تعالى .

قال السندي : " قوله " هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه" يحتمل أن الاشارة الى القبر ، أي القبر مقعدك الى أن يبعثك الله الى المقعد المفروض وحتى غاية للعرض ، أي يعرض عليك الى البعث ثم بعد البعث تدخله" (٣) .

قلت والحديث وان كان نصا في عذاب القبر ونعيمه الا أنه أيضا دليل على البعث . فالميت يعرض عليه مقامه من الدارين في برزخه وينبأ بالبعث الى أحدهما . ومعلوم أنه لن يدخل أحدهما الا اذا بعث .

٤ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال يا نبي الله : كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : " أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة . (٤)

---

(١) ، (٢) انظر البخاري مع شرحه فتح الباري ج ٣ ص ٢٤٣ ، وانظر صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ١٧ ص ٢٠٠

(٣) انظر حاشية السندي على النسائي ج ٤ ص ١٠٨ طبع دار الفكر بيروت

(٤) صحيح مسلم انظر صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ١٧ ص ١٤٩

يعرض هذا الحديث لصورة من صور الحشر التي تكون للكافر يوم القيامة وأنه يحشر على وجهه اهانةله وذلة لانه تكبر عن الركوع والسجود لله في الدنيا فعوقب بهذا اللون من الحشر ليكون اذل له .

وفي الحديث تصريح بأن حشر الكافر على تلك الصورة ليس في الدنيا بل هو يوم القيامة .

وذلك لا يكون الا بعد البعث .

× ٥ - عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله عز وجل الى جسده يوم القيامة " (١) .

وفي رواية : " انما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم القيامة " (٢) .

قوله صلى الله عليه وسلم : " نسمة المؤمن" النسمة بفتحتين هي الروح . ومعنى الحديث : ان روح المؤمن كأنها طائراً وهي في صورة طير تسرح في شجر الجنة حيث شاءت حتى يعيدها الله تعالى الى جسده يوم البعث ، والحديث بروايتيه صريح في البعث الآخر وشموله للجسد والروح وهذا التصريح جدير بأن يخرس الالسن المعتدية على صفة البعث .

× ٦ - عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يبعث كل عبد على ما مات عليه" . (٣)

---

(١) انظر النسائي مع شرحه للسيوطي وحاشيته للسندي ج ٤ ص ١٠٨
(٢) انظر موطأ الامام مالك بتعليق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ص ١٦٤
(٣) انظر صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ١٧ ص ٢١٠

٧ - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم " . (١)

٨ - وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : خر رجل عن بعيره فوقص فمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ، ولا تخمروا رأسه فان الله يبعثه يوم القيامة ملبيا " .

وفي رواية : " فانه يبعث يوم القيامة ملبدا " .

وفي رواية ثالثة : " فانه يبعث يوم القيامة وهو يهلل " . (٢)

٩ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : " عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه فقلنا يا رسول الله : صنعت شيئا في منامك لم تكن تفعله فقال " العجب ان ناسا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى اذا كانوا بالبيداء خسف بهم . فقلنا يا رسول الله : ان الطريق قد يجمع الناس . قال : " نعم فيهم المستبصر ، والمجبور ، وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا ، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم " (٣) .

وفي رواية فقالت أم سلمة : يا رسول الله : لعل فيهم المكره ؟ قال : " انهم يبعثون على نياتهم " . (٤)

---

(١) انظر صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ١٧ ص ٢١٠

(٢) انظر صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ٨ ص ١٢٨ / ١٢٩

(٣) انظر صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ١٨ ص ٦ / ٧

(٤) انظر سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٥١ رقم ٤٠٦٥ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط الحلبي

تنص هذه الاحاديث على أن الميت يبعث على الحالة التي مات عليها بالاضافة الى دلالتها الصريحة على ثبوت البعث وتحقق وقوعه . نعم انها نصوص صريحة وصحيحة في أمر المعاد ، وأن الميت يبعث على عمله ونيته التي توفي عليها فان كان العمل صالحا والنية صالحة بعث كذلك وان كانا غير صالحين بعث على ما مات عليه . وهذا ما أكده حديث جابر : " يبعث الميت على ما مات عليه " . ويدل حديث عبد الله بن عمر : " ثم بعثوا على أعمالهم " على المحاسبة على العمل وحديث عائشة : " يبعثون على نياتهم " على المحاسبة على النية ومجموع الحديثين يدل على اعتبار العمل والنية جميعا في المحاسبة .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم " ثم يبعث " ملبدا " وفي رواية " مهللا " تصريح ببعث الاجساد اذ التلبيد والتهليل انما يكونان للاعضاء الظاهرة . شعر الرأس واللسان وهما من صفات الاجساد وفي ذلك رد على من ينكر ذلك .

١٠٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" مابين النفختين أربعون . قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال أبيت . قالوا أربعون شهرا ؟ قال أبيت . قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت . ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل . قال وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظماً واحدا وهو عجب الذنب . ومنه يركب الخلق يوم القيامة " . (١)

وفي رواية لمسلم : " كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب " وفي رواية أخرى له : " ان في الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامة . قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال عجب الذنب " (٢) .

---

(١) صحيح البخاري انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٥١

(٢) صحيح مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٩١ / ٩٢

قوله " مابين النفختين" قال ابن حجر : زعم ابن حزم أن النفخات أربع :

الاولى : نفخة اماتة يموت فيها كل من بقى حيا فى الارض .

والثانية : نفخة احياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمعون للحساب .

والثالثة : نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشى عليه لا يموت منها أحد .

والرابعة : نفخة افاقة من ذلك الغشى .

ثم قال هذا الذى ذكره من كون الثنتين أربعا ليس بواضح بل هما نفختان فقط . ووقع التغاير فى كل واحدة منهما باعتبار من يستمعها .

فالاولى : يموت بها كل من كان حيا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله .

والثانية : يحيش بها من مات ويفيق بها من غشى عليه " . (١)

* وقال السفارينى : النفخات ثلاث :

الاولى : نفخة الفزع : وهى التى يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهى المشار اليها فى قوله تعالى (وماينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق) (٢) أى من رجوع ومرد . وقوله تعالى (ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) .

والثانية : نفخة الصعق وهلاك الخلق كما قال تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله) .

والثالثة : نفخة البعث والنشور وقد جاء فى الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير اليها" (٣)

---

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٦ ص ٤٤٦

(٢) سورة ص آية ١٥

(٣) انظر لوامع الانوار البهية لمحمد السفارينى ص ١٦١ الجزء الثانى الطبعة الاولى .

قلت والذى يبدو لى أن ما قاله العلامه ابن حجر هو الراجح فى عدد النفخات وتكون الثانية هى نفخة البعث وهى المشار اليها فى الحديث " ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون" وقوله تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (١) والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : " ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل" (٢) دليل واضح وبرهان ساطع على البعث وأنه تعالى اذا أراد بعث الخلق ينزل مطرا من السماء على قبورهم ومكامنهم فتنبت أجسادهم البالية وتحيا أجسامهم الميتة فاذا اكتمل الخلق يخرجهم بعد ذلك أحياء .

وفيه قياس خروج البشر من الارض على خروج النبات فى قوله .

قوله صلى الله عليه وسلم : " كل شىء من الانسان يبلى الا عجب الذنب" (٣)

وفى رواية : " كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب"

وفى أخرى : " ان فى الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا الخ .

فى هذه الفقرة من قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أن الجسد المادى يستحيل ويصير الى التراب كله ما عدا عجب الذنب فانه يبقى على حاله لا يتغير ولا تأكله الارض أبدا فمهما كانت عوامل التغير والاستحالة ومنه يعاد تركيب الانسان يوم البعث .

---

(١) سورة الزمر اية ٦٨

(٢) البقل هو ما نبت فى بزره لا فى أرومه ثابتة . وقيل : البقل من النبات ما ليس بشجر ولا جل . انظر القاموس المحيط فصل الباء باب اللام . وانظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس باب الباء والقاف

(٣) العجب بفتحة مهملة وسكون الجيم بعدها موحدة . ويقال عجم بالميم أيضا عوضا عن الباء هو عظم لطيف فى أصل الصلب وهو رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الاربع
انظر اللسان فصل العين حرف الباء

قال ابن حجر قال ابن الجوزى قال ابن عقيل : " لله فى هذا سـر لا يعلمه الا الله لان من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج الى شىء يبنى عليه ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على احياء كل انسان بجوهره ولا يحصل العلم للملائكة بذلك الا بابقاء عظم كل شخص ليعلم أنه انما أراد بذلك اعـادة تلك الاعيان التى هى جزء منها .

وقوله : " يبلى كل شىء من الانسان" يحتمل أن يريد به يفنى أى تعدم أجزاؤه بالكلية ، ويحتمل أن يريد به يستحيل فتزول صورته المعهودة فتصير على صفة حجم التراب ، ثم يعاد اذا ركبت الى ما عهد" (١) .

هذا كلام الحافظ ابن حجر وليس المقام مقام تفصيل صفة الاعادة وسوف يأتى بيانها فيما بعد ان شاء الله وما نريد أن نقوله حول هذه الدلالة النبوية هو أن البحث عن ثابت وصفته المعروضة صفة اجمالية ، والجمهور على أن جسد الآدمى يبلى كله ما عدا عجب الذنب أخذ بظاهر الحديث وخالف المزنى الجمهور فقال : " الا بمعنى الواو أى وعجب الذنب أيضا يبلى" (٢) ولكن ما انفرد به المزنـى يرده التصريح " بأن الارض لا تأكله أبدا " وهو نص صريح وصحيح وليس هناك مجال لصرفه عن ظاهره اذ قدرة الله تعالى صالحة لايجاد أو ابقاء مايريده من الممكنات والله أعلم .

---

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٥٥٢
(٢) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٥٥٣

١١ - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى حديث نفخ الصور الطويل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثم ينفخ فيه فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا (١) ورفع ليتا ، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله . قال فيصعق ويصعق الناس . ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل (٢) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) (٣) .

فى قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) ، التصريح بصفة الاعادة وأنها تكون من التراب الذى تحللت فيه الاجساد البالية وتفرقت فيه الاشلاء المتمزقة ، وأن الله تعالى يعيد تلك الأجساد بعد استحالتها وبعد موتها وبعد نزول المطر عليها . ثم اذا اكتملت وتم خلقها أذن بخروجها وقيامها للحشر . كما قال صلى الله عليه وسلم : " ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون " .

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله :

واذا أراد الله اخراج الورى	بعد الممات الى المعاد الثانى
ألقى على الارض التى هم تحتها	والله مقتدر وذو سلطان
مطرا غليظا أبيضا متتابعا	عشرا وعشر بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجساد الورى	ولحومهم كمنابت الريحان
حتى اذا ما الأم ملء ولادها	وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السماء فتشققت	فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخللت الام الولود وأخرجت	أشقالها أنثى ومن ذكران

---

(١) الليت بكسر اللام وآخر مثناة فوق وهى صفحة العنق وجانبه الايمن واصغى أمال انظر شرح النووى على مسلم ج ١٨ ، ص ٧٦

(٢) الطل أضعف المطر انظر مختار الصحاح مادة طل

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ، ص ٧٦

والله ينشئ خلقه في نشـــأه أخرى كما قد قال في القرآن

هذا الذي جاء الكتاب وســـــــنة الهادي به فأعرض على الايمان (١)

x ١٢ - عن أبي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع " . (٢) .

وفي رواية : " أنا أول من تنشق عنه الأرض " . (٣)

في هذا الحديث تصريح بالبعث وان النبي محمدا صلى الله عليه وسلم هو أول مبعوث ينشق عنه القبر ، وأول وافد يلاقي ربه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم وأخيرا فان زبدة القول هي :

أن اشاراته صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته ومواعظه بشأن البعث أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ، وما ذكرناه هو دق من جل وقل من كثر .

ويمكن أن نقول ان أهم ما استفدناه من هذه الدرر هو :

أ - ان السنة النبوية وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي قد قررت ثبوت المعاد وأكدت الدعوة اليه تأكيدا بحيث ينتفي الايمان بدونه ، فلا ايمان لمن لا يؤمن بالبعث الآخر .

---

(١) انظر نونية ابن قيم الجوزية مع شرحها للدكتور محمد خليل هراس ص ٢٢٣ ط مطبعة الامام بمصر .

(٢) انظر صحيح مسلم مع شرحه للنووي ج ١٥ ص ٢٧ .

(٣) انظر جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذي للمباركفوري ج ١٠ ص ٨٠ .

ب - صرحت في أكثر من موضع شمول البعث للجسد والروح معا ونفى بهذا التصريح تجتث صرح التأويل وتقطع شجرته من أصلها وحقا ما قيل : انه لا يجتمع الايمان بين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبين انكار البعث الجسماني .

× جـ - أفادت السنة مخزى تربويا و توجيها اسلاميا عظيما وهو أن العبرة بالخواتيم فمن مات على عمل أونيّة أو عمل ونية بعث على ما مات عليه ، وهذا لعمر الله لمن أشد الدافع الى الاستقامة على أمر الله ومن أعظم الحوافز الى النظر الى العاقبة والمآل .

د - المبعوث في الآخرة هو الجسد الاول بعينه وصفة الاعادة أن الله تعالى ينزل مطرا من السماء على الأجساد الميتة فتحيا به بعد موتها ثم يأذن لها بالخروج بعد ذلك للحشر .

والى هنا نكتفي بهذا القدر وننتقل بك أيها القارئ الى آراء علماء الاسلام في البعث .

الفصل الثاني

الآراء المحكية في البحث

لقد تناول علماء الاسلام البحث من ناحيتين :

أ - الصفة التي يكون عليها وهل هو جسماني فقط أو روحاني فقط أو جسماني وروحاني معا .

ب - صفة الاعادة . وهل هي عن عدم محض أو عن جمع ما تفرق من أجزاء البدن .

وللحديث عن هاتين الناحيتين أقول وبالله التوفيق .

أ - صفة البحث :

وقع الخلاف بين العلماء والفلاسفة حول الصفة التي يقع عليها البحث . والمتتبع لأقوالهم الواردة في ذلك والمذكورة في كتب العقائد الاسلامية يجدها لا تزيد عن خمسة أقوال :

أولا : ثبوت المعاد الجسماني فقط وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة .

الثاني : ثبوت المعاد الروحاني فقط ، وهو قول الفلاسفة الالاهيين .

الثالث : ثبوتهما معا وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد الدبوس ومصر من قدماء المعتزلة وجمهور من متأخري الامامية ، وكثير من الصوفية فانهم قالوا الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب والبدن يجري منها مجرى الآله ، والنفس باقية بعد فساد البدن فاذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا تتعلق به ويتصرف فيه كما كان في الدنيا .

الرابع : عدم ثبوت شيء من الاعادة وهو قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين .

الخامس : مذهب التوقف في هذه الأقسام وهو قول منقول عن جالينوس لأنه لم يتبين النفس هل هي المزاج فينعدم عند الموت فستستحيل اعادتها أو هي جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد حينئذ " (١) .

هذه هي الأقوال المحكية عن العلماء في صفة البعث وسوف نناقشها ان شاء الله على ضوء تعاليم الاسلام مع بيان القول الراجح منها فنقول وبالله التوفيق .

أما القول الرابع : وهو مذهب الانكار والمنقول عن الفلاسفة الطبيعيين المنكرين للبعث فهو مذهب محلوم البطلان ومرفوض من وجهة النظر الاسلامية لأنه مذهب قائم على الظن والحدس واعتدال المزاج . ولا يخفى ما في هذا المذهب من تفاهة وسخافة لا يقبلها عقل سليم . وقد كفّر العلماء أصحاب هذا القول وعدوهم من الخارجين عن الاسلام .

قال الامام الغزالي : " والصنف الثاني هم الفلاسفة الطبيعيون وهم قوم أكثر بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات الى أن قال : الا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به . فظنوا أن القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وانها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم ثم اذا انعدمت فلا تعقل اعادة المعدوم كما زعموا ، فذهبوا الى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب ، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب ، فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام " . ثم قال رحمه الله :

---

(١) المواقف للعضد الايجي بشرح الجرجاني ج ٨ ص ٢٩٧ ط دار السعادة ١٣٢٥/١٩١٧ بجوار محافظة مصر

" وهؤلاء أيضا زنادقة لأن أصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله تعالى وصفاته " (١) .

وقال الامام ابن حزم :

" اتفق أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة الكبرى وعلى تكفير من أنكر ذلك " (٢) .

نعم : أصحاب هذا المذهب كفار حتى لو أقروا بالله وبجميع ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم ما عدا البعث . قال الفخر الرازي :

" نص القرآن الكريم على أن من أنكر الحشر والنشر كافر والدليل عليه قوله تعالى :

(ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنـا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا)

ثم قال : ووجه الزام الكفر ان دخول هذا الشيء في الوجود ممكن الوجود في نفسه، ولو كان ممتنع الوجود لما وجد في المرة الأولى ، فحيث وجد في المرة الأولى علمنا انه ممكن الوجود لذاته فلو لم يصح من الله تعالى لدل ذلك : اما على العجز حيث لم يقدر على ايجاد ما هو جائز الوجود في نفسه . أو على الجهل حيث تعذر عليه تمييز أجزاء بدن كل واحد من المكلفين عن أجزاء بدن المكلف الآخر . ومع القول بالعجز لا يصح اثبات النبوات فكان مما يعود للكفر مطلقا . (٣)

---

(١) انظر المنقذ من الضلال ص ٤١/ ٤٢ مطبعة مكتبة الجندي بمصر

(٢) انظر الفصل ج ٤ ص ٩٩ مطبعة صبيح وأولاده القاهرة

(٣) انظر التفسير ج ص ٢٢٦

وفي الحقيقة أن أقوال العلماء وأحكامهم على من لم يؤمن بالبعث سواء كانوا من الفلاسفة الطبيعيين أو من الدهرية الجاحدين أو من الملاحدين المحدثين أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر لأن ذلك من المسائل التي علمت من الدين بالضرورة.

وأما القول الخامس :

وهو مذهب التوقف والمنسوب الى جالينوس فانه شك في عقيدة لا يقبل من صاحبها التوقف والشك . بل لا ينجيه من سخط الله تعالى الا الايمان اليقيني والتصديق القطعي لأنها معلومة من الدين بالضرورة وأحد القضايا الأساسية التي كانت الرسل تدعو اليها أممهم ، وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم أكثر تعرضا لها . بعد الايمان بالله لأنه خاتم النبيين والحاشر المقفّى — وليس هذا مقام الاطالة لأن أدلة القرآن والسنة التي سبق عرضها كافية في الرد على أصحاب هذا القول وسابقه بل وفيهما الكفاية لمن أراد الله هدايته من المنكرين في كل زمان ومكان . قال تعالى : (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) (١) . نعم قد جاءت الأدلة متضمنة الرد على كل شبهة عند الجاحدين بأحسن بيان وأوضح عبارة وليس هذا مقام مناقشتهم فقد اتضح أن التوقف والشك لا مبرر له فهو باطل ، وانما الذي سنناقشه هنا هي الأقوال الثلاثة الأخرى عن القائلين بالبحث . وسنبدأ بالقول الأول حسب ترتيبنا :

القول الأول : ثبوت المعاد الجسماني فقط :

ان هذا القول لم يطلقه أحد من السلف على صفة البحث وانما كان قول السلف

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٢

في صفة البعث أنه جسماني وروحاني معا ، أي أن المبعوث هو هذا الانسان الذي عاش في الدنيا ، الانسان بمجموعه قبضة الطين ونفخة الروح ، وليس المبعوث هو الجسد وحده وذلك لأن الجسد لا قوام له بدون الروح . وأما نسبة هذا القول لأكثر المتكلمين فانها لا تصح الا على القول بأن الروح جسم لطيف سار في البدن سريان الماء في العود الأخضر . وعلى هذا فالمعاد وهو كل من الروح والبدن جسم فيكون المعاد جسمانيا .

والظاهر عند هؤلاء أن كون الروح جسما موصوفا وليست ذاتا مجردة هو الحق والصواب . ومع أن القول بالجسمية لا ينضبط لعدم انضباط معناه بين اللغويين والمتكلمين والفلاسفة على معنى يتفقون عليه الا أنهم يرون الروح على أية حال ذاتا موصوفة ترى وتحس وهو ما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة . قال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية موضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) (١)

وهذه الآية نص في أن الروح توصف بالرجوع والدخول . وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألم تروا الانسان اذا مات شخص بصره . قالوا : بلى قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه" (٢) .

قال ابن القيم : قال الرازي : القول السادس من معاني الروح أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم " .

وعقب على هذا القول بقوله : "وهذا هو الصواب في المسألة وهو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل

---

(١) سورة الفجر آية ٢٧ - ٣٠

(٢) رواه مسلم — صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٢٢٣

والفطـــرة ." (١)

وقد ساق ابن القيم أكثر من مائة دليل على كون الروح موصوفة .

وقال شارح المسـايرة : "الروح جسم يرى بالعين كما أن الدخول في الأبدان ينافي التجرد ، لأن المجرد لا يكون داخلا في البدن ولا يكون جزءا منه ولا قوة حالة فيه وانما هو عبارة عما ليس بجسم ولا قوة حالة بالجسم ، والمجرد لا مكاني فلا يقبل اشارة حسية" "(٢) .

وعلى هذا فالقول بأن المعاد جسماني على معنى أن كلا من الروح والجسد جسماني قول صحيح ويبقى الخلاف بين هذا القول والقول الثالث لفظيا فقط . وأما اذا كان مراد أصحاب هذا القول نفي المعاد الروحاني فسوف يأتي بيان موقف القرآن والسنة منه والله أعلم .

القـــول الثانـــي : ثبوت المعاد الروحاني فقط

وهو قول منسوب الى الفلاسفة وأتباعهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينـــا وابن رشد . وقولهم هذا مصادم لأدلة الكتاب والسنة التي تدل على ثبوت المعـــاد الروحاني والجسماني كما مر بنا .

وقد ناقش الغزالي متفلسفة المسلمين القائلين بهذا القول مناقشة علمية وذكر من حجتهم في اثباته ما ملخصه : قالوا : "ان اللذات العقلية الأخروية أفضل مـــن اللذات الجسمية الدنيوية ولولا ذلك لما قال رسول الله صلى الله عليه وســـلـــم

---

(١) انظر كتاب الروح ص١٧٨/ ١٧٩ مطبعة دار الكتب العلمية بيروت

(٢) محمد بن محمد أبي شرف المقدسي - شرح المسايرة ص ٢٦٣

قال الله تعالى : " أعددت لعبادى الصالحين فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) . وما أخبر به الله عن أهل الجنة فى مثل قوله تعالى : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرت أعين" .

وقالوا : ان النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديا ، اما فى لذة لا يحيط الوصف بها لعظمها واما فى ألم لا يحيط الوصف به لعظمه . ثم قد يكون ذلك الالم مخلدا ، وقد ينمحى على طول الزمان ثم تتفاوت طبقات الناس فى درجات الألم واللذة ، تفاوتا غير محصور كما يتفاوتون فى المراتب الدنيوية ولذاتها تفاوتا غير محصور ، فاللذة السرمدية للنفوس الكاملة الزكية والالم السرمدى للنفوس الناقصة الملطخة ، والالم المنقضى للنفوس الكاملة الملطخة . فلا تنال السعادة المطلقة الا بالكمال والتزكية والطهارة ، والكمال بالعلم والزكاء بالعمل وزعموا أن من مات فقد قامت قيامته .

وأما ما ورد فى الشرع من الصور الحسية فالقصد به ضرب الامثال لقصور الافهام عن درك هذه اللذات فمثل مايفهمون ، ثم ذكر لهم أن تلك اللذات فوق ما وصف لهم . (١)

وما ذكره الامام الغزالى هو ما قرره ابن رشد حيث يقول :
" انهم أى الفلاسفة رأوا أن التمثيل بالمحسوسات هو أشد تفهما للجمهور والجمهور اليها وعنها أشد تحركا ، فأخبروا : ان الله يعيد النفوس السعيدة الى أجساد تنعم فيها الدهر كله بأشد المحسوسات نعيما وهو مثلا الجنة . وأنه تعالى يعيد النفوس الشقية الى أجساد تتأذى فيها الدهر كله ، وهذه حال شريعتنا هذه التى هى الاسلام فى تمثيل هذه الحال" . (٢)

وقال ابن سينا : " انه لا يمكن أن تعود النفوس بعد الموت الى البدن البتة " (٣) . وكان قد قال من قبل : " ان الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمونه ، مقربا ما لا يفهمونه الى أفهامهم ، بالتشبيه والتمثيل ، ولو كان

---

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٨٢ تحقيق وتقديم د . سليمان دنيا
(٢) مناهج الادلة فى عقائد الملة لابن رشد ، تحقيق د . محمود قاسم ص ٢٤٣
(٣) رسالة اضحوية فى امر المعاد لابن سينا ص ٩٨ بتحقيق د . سليمان دنيا

غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة . وكيف يكون ظاهر الشرع حجة فى هذا الباب ولو فرضنا الامور الأخروية روحانية بعيدة عن ادراك بداية الأذهان ، لحقيقتها لم يكن سبيل الشرائع فى الدعوة اليها ، والتحذير عنها ، منبها بالدلالة عليها بل بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة الى الافهام .
فكيف يكون وجود شىء حجة على وجود شىء آخر ، ولو لم يكن الشىء الآخر على الحالة المفروضة ، لكان الشىء الاول على حالته " . (١)

وهذه النصوص تدل على أنه ليس هناك بعث جسمانى البتة عند الفلاسفة وانما هو تصوير وتمثيل يقصد به تقريب أمور الآخرة الى أذهان العامة .
اذا عرفت هذا فانه قد ناقش الغزالى رحمه الله هؤلاء الفلاسفة مناقشة علمية تفيد فى الرد عليهم . فقال رحمه الله :

" نحن نقول : أكثر هذه الامور ليست على مخالفة الشرع فانا لا ننكر أن فى الآخرة أنواعا من اللذات أعظم من المحسوسات ، ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ولكنا عرفنا ذلك بالشرع اذ قد ورد السمع بالمعاد ولا يفهم المعاد الا ببقاء النفس . وانما أنكرنا عليهم من قبل معرفة ذلك بمجرد العقل "
ثم أخذ الغزالى رحمه الله يبين مأخذه عليهم فقال : ولكن المخالف للشرع منها :
أولا : انكار حشر الاجساد .
ثانيا : انكار اللذات الجسمانية فى الجنة .
ثالثا : انكار الآلام الجسمانية فى النار .
رابعا : انكار وجود الجنة والنار كما وصف فى القرآن .
ثم قال متسائلا : فما المانع من تحقق السعادتين الروحانية والجسمانية وكذا الشقاوة؟) (٢) . وهو تساؤل فى محله لعدم وجود المانع الذى يمنع من الجمع بين السعادتين أو الشقاوتين بل ذلك ما دلت عليه النصوص القرآنية والنبوية وليس المقام مقام ذكر الادلة التى تؤيد ذلك وانما هو مقام ذكر شبه الفلاسفة على استحالة بعث الاجساد فنقول وبالله التوفيق .
قال الغزالى رحمه الله : سلك الفلاسفة فى استدلالهم على استحالة بعث الاجساد مسلكين :

---

(١) رسالة اضحوية فى امر المعاد لابن سينا ص ٨٩
(٢) تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٢٨٧/٢٨٨

المسلك الأول :

قالوا : تقدير العود الى الأبدان ثلاثة أقسام :

الأول : اما أن يقال : الانسان عبارة عن البدن والحياة التي هي عرض قائم به ، كما ذهب اليه بعض المتكلمين ، وأما النفس التي هي قائمة بنفسها ومدبرة للجسم ، فلا وجود لها .

ومعنى الموت انقطاع الحياة ، أي امتناع الخالق عن خلقها ، فتنعدم . والبدن ينعدم . ومعنى المعاد اعادة الله تعالى للبدن ، الذي انعدم ورده الى الوجود واعادة الحياة التي انعدمت .

أو يقال : مادة البدن تبقى ترابا ، ومعنى المعاد أن يجمع ويركب على شكل آدمي ، وتخلق فيه الحياة ابتداء .

الثاني: أن يقال : النفس موجودة . وتبقى بعد الموت ، ولكن يرد البدن الأول بجمع تلك الأجزاء بعينها .

الثالث: أن يقال : ترد النفس الى بدن ، سواء كان من تلك الأجزاء بعينها ، أو من غيرها ، ويكون العائد ذلك الانسان . لا من حيث ان النفس تلك النفس فأما المادة فلا التفات اليها ، اذ الانسان ليس انسانا بها ، بل بالنفس (١) .

قال الفلاسفة :

وهذه الأقسام الثلاثة باطلة :

أما الأول فظاهر البطلان ، لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن فاستئناف خلقهما ،

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٢٩٥

ايجاد لمثل ماكان ، لا لعين ما كان ، بل العود المفهوم ، هو الذى يفرض بقاء شيء ، وتجدد شيء ، كما يقال فلان عاد الى الانعام ، أى أن المنعم باق ، وترك الانعام ثم عاد اليه ، أى عاد الى ما هو الأول بالجنس ، ولكنه غيره بالعدد فيكون عودا بالحقيقة الى مثله ، لا اليه .

ويقال فلان عاد الى البلد ، أى بقى موجودا خارج البلد ، وقد كان له كون فى البلد ، فعاد الى مثل ذلك ، فان لم يكن شيء باقيا ، وشيئان متعددان متماثلان ، يتخللهما زمان لم يتم اسم العود الا أن يسلك مسلك المعتزلة ، فيقال : المعدوم شيء ثابت ، والوجود حال يعرض له مرة ، وينقطع تارة ، ويعود أخرى ، فيتحقق معنى العود باعتبار بقاء الذات ، ولكنه رفع للعدم المطلق ، الذى هو النفى المحض ، وهو اثبات للذات مستمرة الثبات ، الى أن يعود اليها الوجود ، وهو محال .

قال الفلاسفة :

فان احتمال ناصر هذا القسم ، بأن قال تراب البدن لا يفنى ، فيكون باقيا ، فتعاد اليه الحياة .

فنقول : عند ذلك يستقيم أن يقال : عاد التراب حيا ، بعد أن انقطعت الحياة عنه مدة ، ولا يكون ذلك عودا للانسان ، ولا رجوع ذلك الانسان بعينه ، لأن الانسان انسان لا بمادته ، والتراب الذي فيه ، اذ تتبدل عليه سائر الأجزاء أو أكثرها بالغذاء ، وهو ذاك الأول بعينه ، فهو هو ، باعتبار روحه ونفسه ، فاذا عدمت الحياة والروح ، فما عدم لا يعقل عوده ، وانما يستأنف مثله . ومهما خلق الله تعالى حياة انسانية فى تراب ، يحصل من بدن شجر ، أو فرس أو نبات ، كان ذلك ابتداء خلق انسان . فالمعدوم قط ، لا يعقل عوده ، والعائد هو الموجود ، أى عاد الى حالة كانت له من قبل ، أى الى مثل تلك الحالة ، فالعائد هو التراب ، الى صفة الحياة .

وليس الانسان انسانا ببدنه ، اذ قد يصير بدن الفرس غذاء للانسان فتتخلق منه نطفة يحصل منها انسان ، فلا يقال : الفرس انقلب انسانا ، بل الفرس فرس بصورته ، لا بمادته ، وقد انعدمت الصورة ، وما بقي الا المادة .

وأما القسم الثاني :

وهو تقدير بقاء النفس وردها الى ذلك البدن بعينه ، فهو لو تصور لكان معادا أي عودا الى تدبير البدن بعد مفارقته ، لكنه محال ، اذ بدن الميت يستحيل ترابا ، أو تأكله الديدان والطيور ، ويستحيل ماء ، وبخارا وهواء ، ويمتزج بهواء العالم ، وبخاره ومائه ، امتزاجا يبعد انتزاعه ، واستخلاصه ! ولكن ان فرض ذلك اتكالا على قدرة الله ، فلا يخلو ، اما أن يجمع الأجزاء التي مات عليها فقط ، فينبغي أن يعاد الاقطع ومجدوع الانف والاذن ، وناقص الأعضاء ، كما كان ، وهذا مستقبح لا سيما في أهل الجنة وهم الذين خلقوا ناقصين في ابتداء الفطرة ، فاعادتهم الى ما كانوا عليه من الهزال عند الموت في غاية النكال .

هذا ان اقتصر على جمع الأجزاء الموجودة عند الموت .

وان جمع جميع أجزائه التي كانت موجودة في جميع عمره ، فهو محال من وجهين :

أحدهما : أن الانسان اذا تغذى بلحم انسان ، وقد جرت العادة به في بعض البلاد ، ويكثر وقوعه في أوقات القحط ، فيتعذر حشرهما جميعا ، لأن مادة واحدة كانت بدنا للمأكول ، وصارت بالغذاء بدنا للآكل ولا يمكن رد نفسين الى بدن واحد .

الثاني : أنه يجب أن يعاد جزء واحد ، كبدا وقلبا ، ويدا ، ورجلا فانه ثبت بالصناعة الطبية ، أن الأجزاء العضوية ، يتغذى بعضها ، بفضلة غذاء البعض ، فيتغذى الكبد بأجزاء القلب ، وكذلك سائر الأعضاء .... فنفرض أجزاء معينة ، قد كانت مادة لجملة

من الأعضاء ، فالى أى عضو تعاد ؟ ؟ !

بل لا يحتاج فى تقرير الاستحالة الأولى الى أكل الناس الناس فانك اذا تأملت ظاهرة التربة المصورة ، علمت بعد طول الزمان ، أن ترابها جثث الموتى ، قد تتربت وزرع فيها وغرس ، وصارت حبّا وفاكهة ، وتناولتها الدواب فصارت لحما ، وتناولناها فصارت أبدانا لنا ، فما من مادة يشار اليها الا وقد كانت بدنا لأناس كثيرين ، فاستحالت وصارت ترابا ، ثم نباتا ثم لحما ثم حيوانا ! !

وهكذا يسرد الفلاسفة شبههم ويقولون :

بل يلزم منه محال ثالث ، وهو أن النفوس المفارقة للأبدان غير متناهية ، والأبدان أجسام متناهية . فلا تفى المواد التى كانت مواد الانسان ، بأنفس الناس كلهم ، بل تضيق عنهم ! !

وأما القسم الثالث :

وهو رد النفس الى بدن انسان من أى مادة كانت وأى تراب اتفق ، فهو محال من وجهين :

أحدهما :

أن المواد القابلة للكون والفساد ، محصورة فى مقعر فلك القمر ، لا يمكن عليها مزيد ، وهى متناهية والأنفس المفارقة للأبدان ، غير متناهية ، فلا تفى بها .

الثانى :

أن التراب لا يقبل تدبير النفس ، ما بقى ترابا ، بل لابد أن تمتزج العناصر امتزاجا ، يناهى النطفة ، بل الخشب والحديد ، لا يقبل هذا التدبير ، ولا يمكن اعادة الانسان وبدنه من خشب أو حديد ، بل لا يكون انسانا الا اذا انقسمت أعضاء

بدنه الى اللحم ، والعظم ،والاخلاط ،ومهما استعد البدن والمزاج ،لقبول النفس استحق من المبادىء الواهبة للنفوس حدوث نفس ،فيتوارد على البدن الواحد نفسان •

وبهذا بطل مذهب التناسخ وهذا المذهب هو عين التناسخ ،فانه رجع الى اشتغال النفس ، بعد خلاصها من البدن بتدبير بدن آخر ،غير البدن الأول •

فالمسلك الذى يدل على بطلان التناسخ ،يدل على بطلان هذا المذهب •(١) هذا مسلك الفلاسفة الأول على استحالة بعث الاجساد •

أما المسلك الثاني : فقولهم :

ليس فى المقدور ،أن يقلب الحديد ثوبا منسوجا بحيث تنعم به الأجساد ، الا بأن تتحلل أجزاء الحديد ،الى بسائط العناصر بأسباب تستولى على الحديد ،فتحلله الى بسائط العناصر ثم تجتمع العناصر وتدار فى أطوار فى الخلقة ،الى أن تكتسب صورة القطن ثم يكتسب صورة الغزل ،ثم الغزل يكتسب الانتظام المعلوم ،الذى هو النسج ،على هيئة معلومة ، ولو قيل : ان قلب الحديد عمامه قطنية ، ممكن من غير الاستحالة فى هذه الأطوار ،على سبيل الترتيب ،لكان محالا !!

وقالوا : نعم يجوز أن يخطر ببال الانسان ،أن هذه الاستحالات يجوز أن تحصل كلها فى زمان متقارب ،لا يحس الانسان بطوله فيظن أنه وقع فجأة دفعة واحدة •

واذا عقل هذا ؟ فالانسان المبعوث المحشور ،لو كان بدنه من حجر أو ياقوت ،أو درّ ، أو تراب محض لم يكن انسانا ، الا أن يكون متشكلا ، بالشكل المخصوص ،مركبا من العظام والعروق واللحم ،والغضاريف والاخلاط ،والأجزاء المفردة تتقدم على المركبة ،فلا يكون البدن ،ما لم تكن الأعضاء ،ولا تكون الأعضاء المركبة ،ما لم تكن العظام واللحوم والعروق •

ولا تكون هذه المفردات ما لم تكن الأخلاط ،ولا تكون الأخلاط الأربعة ما لم تكن

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٢٩٥ ــ ٢٩٩

مواد ها من الغذاء ،ولايكون الغذاء ،ما لم يكن حيوان ،أو نبات وهو اللحم والحبوب !!
ولا يكون حيوان ونبات ،ما لم تكن العناصر الأربعة جميعا ،ممتزجة بشرائط ،مخصوصة طويلة أكثر مما فصلنا جملتها •

فاذن لا يمكن أن يتجدد بدن انسان ،لترد النفس اليه الا بهذه الأمور ،ولهـا أسباب كثيرة " •

ثم قالوا متسائلين :

" أفينقلب التراب انسانا ،بأن يقال له كن ؟ أوبأن تمهد أسباب انقلابه فى هذه الأمور ؟!
وأسبابه هى القاء النطفة المستخرجة ،من لباب بدن الانسان ،فى رحم ،حتى يستمد من دم الطمث ،ومن الغذاء مدة طويلة حتى يتخلق مضغة ،ثم علقة ،ثم جنينا ، ثم طفلا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا " وهكذا يستمر الفلاسفة فى سردهم لعلل الانكار متحاميـن عن عظيم قدرة الله تعالى فيقول قائلهم فى أبشع صورة للاستبعاد :

" فقول القائل : يقال له : كن ،فيكون ،غير معقول !!

اذ التراب لا يخاطب • وانقلابه انسانا دون تردد فى هذه الأطوار محال • وتردده فى هذه الأطوار ،دون جريان هذه الأسباب محال • فيكون البعث محالا " (١) •

هذا آخر اعتراضهم الثانى واليك مناقشة الغزالى للفلاسفة ورده عليهم •

تصدى الغزالى لمناقشة الفلاسفة وبين أن ماذكروه لا يرد على من يقول بالبعث الروحانى والجسمانى • وتناول هاتين الشبهتين الواردتين على القائلين بالبعث الجسمانى • ولم يتعرض الغزالى للتقدير الأول والثانى فى اعتراض الفلاسفة ،وانما تناول الرد علـى التقدير الثالث : وهو رد النفس الى بدن انسانى من أى مادة كانت ،وأى بدن اتفق •

فقال الاعتراض :

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة ص ٣٠٠ / ٣٠٢

أن يقال بم تنكرون على من يختار القسم الأخير ويرى أن النفس باقية بعد الموت وهي جوهر قائم بنفسه ، فان ذلك لا يخالف الشرع ، بل دل عليه الشرع في قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ٠ فرحين ٠٠ الخ وبقوله صلى الله عليه وسلم : (أرواح الصالحين في حواصل طيور خضر ، معلقة تحت العرش) ٠ وبما ورد من الأخبار ، بشعور الأرواح بالخيرات والصدقات وسؤال منكر ونكير ، وعذاب القبر ، وغيره ، وكل ذلك يدل على البقاء ٠

نعم قد دل مع ذلك على البعث والنشور بعده ، وهو بعث البدن (١) وذلك ممكن ، برد ها الى بدن ، أي بدن كان ، سواء كان من مادة البدن الأول أو من غيره ، أو من مادة استؤنف خلقها ٠ فانه هو بنفسه لا ببدنه ، اذ تتبدل عليه أجزاء البدن ، من الصغر الى الكبر ، بالهزال والسمن ، وتبدل الغذاء ويختلف مزاجه مع ذلك ، وهو ذلك الانسان بعينه ، فهذا مقدور لله تعالى ، ويكون ذلك عودا ، لتلك النفس ، فانه كان قد تعذر عليها أنه تحظى بالآلام واللذات الجسمية بفقد الآله ، وقد أعيدت اليها آلة مثل الأولى ، فكان ذلك عودا محققا ٠ "

وهكذا يفند الغزالي هذه الشبهة ثم يعطف على حججهم فينقضها حجة حجة اذ يقول :

" وما ذكرتموه من استحالة هذا يكون النفوس غير متناهية ، وكون المواد متناهية ، محال لا أصل له ، فانه بناء على قدم العالم وتعاقب الأدوار على الدوام ٠ ومن لا يعتقد قدم العالم ، فالنفوس المفارقة للأبدان عنده متناهية ، وليست بأكثر من المواد الموجودة ، وان سلم أنها أكثر ، فالله تعالى قادر على الخلق واستئناف الاختراع ٠ وانكاره انكار لقدرة الله تعالى على الاحداث ، وقد سبق ابطاله في مسألة حدوث العالم ٠

---

(١) بمعنى أن فترة البرزخ فترة انتظار بالنسبة للروح فاذا جاء يوم البعث عادت الى جسدها المبعوثة معه ٠

وأما احالتكم الثانية ،بأن هذا تناسخ ،فلا مشاحة فى الأسماء ،فما ورد الشرع به يجب تصديقه ،فليكن تناسخا ،ونحن انما ننكر التناسخ فى هذا العالم ، وأما البعث فلا ننكره • سمى تناسخا ،أو لم يسم تناسخا •

وقولكم : ان كل مزاج استعد لقبول نفس ،استحق حدوث نفس من المبادئ • رجوع الى أن حدوث النفوس ،بالطبع لا بالارادة ،وقد أبطلنا ذلك فى مسألة حدوث العالم ، كيف !! ولا يبعد على مساق مذهبكم أيضا ،أن يقال انما يستحق حدوث نفس ،اذا لم تكن ثمّ نفس موجودة ،فتستأنف نفس • فيبقى أن يقال : فلم لم تتعلق بالأمزجة المستعدة فى الأرحام قبل البعث والنشور ،بل فى عالمنا هذا •

فيقال : لعل الأنفس المفارقة ،تستدعى نوعا آخر من الاستعداد ولا يتم سببها الا فى ذلك الوقت ،ولا يبعد فى أن يفارق الاستعداد المشروط للنفس الكاملة المفارقة الاستعداد المشروط للنفس الحادثة ابتداء التى لم تستفد كمالا بتدبير البدن مدة والله تعالى أعلم بتلك الشروط ،وأسبابها ،وأوقات حضورها ،وقد ورد الشرع به ،وهو ممكن ، فيجب التصديق به " •

وبعد هذه المناقشة العلمية ينتقل الغزالى لمناقشة الشبهة الثانية عند الفلاسفة • قال رحمه الله : الاعتـــــراض :

" انا لا نسلم أن الترقى فى هذه الأطوار ،لابد منه ،حتى يصير بدن انســـان ، كما لابد منه حتى يصير الحديد عمامه ،فانه لو بقى حديدا لما كان ثوبا ،بل لابد أن يصير قطنا ، مغزولا ثم منسوجا ،ولكن ذلك فى لحظة أو فى مدة ،ممكن ، ولم يبين لنـا أن البعث يكون فى أدنى ما يقدر ،اذ يمكن أن يكون جمع العظام ،وانشاز اللحم ،وانباته فى زمان طويل وليس المناقشة فيه •

وانما النظر فى أن الترقى فى هذه الأطوار يحصل بمجرد القدرة ،من غير واسطة ،أو بسبب من الأسباب ،وكلاهما ممكنان عندنا " •

ثم قال رحمه الله بعد أن أشار الى أنه تكلم عن الأطوار التي يمكن ان تكون بغير سبب استدلالا بكمال القدرة :

" وأما الثاني فهو أن تقول : ذلك يكون بأسباب ،ولكن ليس من شرطه ،أن يكون السبب هو هذا المعهود ،بل في خزانة المقدورات عجائب وغرائب ،لم يطلع عليها ،ينكرها من يظن ،أن لا وجود الا لما شاهده ،كما ينكر طائفة السحر ، والنارنجات والظلمات والمعجزات ،والكرامات ،وهي ثابتة بالاتفاق ـ بأسباب غريبة لا يطلع عليها " .

وهكذا نرى الغزالي رحمه الله يرد هذه الشبهة بالحجة فيترك أهلها صرعى ويتهكم بتفاهة عقولهم وصبيانيتها وضيق الزاوية التي ينظرون منها .ويشبههم بانسان لم ير المغناطيس وجذب به للحديد فانه لو حكى له ذلك لاستنكره وقال : لا يتصور جذب الحديد الا بخيط يشد عليه ويجذب ،فانه المشاهد في الجذب ولكنه اذا شاهده أخذه العجب والدهش ،وعلم أن علمه قاصر عن الاحاطة بعجائب القدرة " (١) .

نعم انه الجهل بقدرة الله وكمال علمه هو الذي جعل الانسان بعقله الصغير ينكر أشياء بغير علم بل بمجرد الظن والحدس ،والله سبحانه لم يكل هداية الخلق لمجرد العقل بل أنزل الوحي ليكون دعامة قوية أو منارا منيفا يستضيء به العقل ويسترشد ولما اعتمد الفلاسفة على عقولهم في غالب أحيانهم كثر منهم الزيغ والانحراف عن صراط الله المستقيم وكان نصيبهم من الحق بقدر اقترابهم من الوحي .

ومن هذا النوع اعتقادهم أن البعث روحاني فقط وأن العذاب والنعيم معنويان وهو اعتقاد باطل لا يؤيده عقل صحيح ولا نص ثابت صريح ،ولذا حكم الغزالي بكفرهم فقال : فان قال قائل : قد فصلتم مذاهب هؤلاء " يعني الفلاسفة " أفتقطعون بتكفيرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم ؟

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة ص ٣٠٣

فأجاب بقوله :

قلنا : تكفيرهم ،لابد منه فى ثلاث مسائل :

احداها : مسألة قدم العالم ،وقولهم : ان الجواهر كلها قديمة •

والثانية : قولهم ان الله تعالى لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص •

والثالثة : انكارهم بعث الأجساد وحشرها •

ثم قال : فهذه المسائل الثلاث ،لا تلائم الاسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الانبياء ــ صلوات الله عليهم وسلامه ــ وأنهم ذكروا ماذكروا على سبيل المصلحة • تمثيلا لجماهير الخلق وتفهيما •وهذا هو الكفر الصراح الذى لم يعتقده أحد من فرق المسلمين (١) •

نعم ان القول بالبعث الروحانى وحده قول يقدح فى العدالة الالاهية والحكمة الربانية لأن كلا من الروح والجسد قد اشترك فى العمل فى الدنيا فاذا بعث أحدهما ولم يبعث الآخر كان النعيم أو العذاب ناقصا !!

ولم يسم المبعوث انسانا بل يقال بعث روح انسان أوجسد انسان •

قال محمد رشيد رضا رحمه الله : " لو كان البعث للأرواح وحدها لنقص من ملكوت الله تعالى هذا النوع المكرم من الخلق ،المؤلف من روح وجسد ،فهو يدرك اللذات الروحية واللذات الجسمية ،ويتحقق بحكم الله " جمع حكمة " وأسرار صنعة فيهما معا ،من حيث حرم الحيوان والنبات من الاولى والملائكة من الثانية •

ثم قال : وما جنح من جنح من أصحاب النظريات الفلسفية الى البعث الروحانى المجرد الا لاحتقارهم اللذات الجسدية ، وتسميتها بالحيوانية مع شغف أكثرهم بها ،وانما تكون نقصا فى الانسان اذا سخر عقله وقواه لها وحدها ،حتى صرفه اشتغاله بها عن اللذات العقلية والروحية بالعلم والعرفان ،أو أضعفها ــ وأصل هذا الافراط والتفريط • غلو الهنود فى احتقار الجسد وجعلهم مدار تربية النفس على تعذيبه بالرياضات الشاقة ،وتبعهم

---

(١) انظر تهافت الفلاسفة ص ٣٠٩

فيه نساك النصارى كما تبعوهم فى عقيدة الصلب والفداء والتثليث ،على أنهم نقلوا عن المسيح عليه السلام شرب الخمر مع تلاميذه لما ودعهم فى الفصح وقال لهم : انى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا فى ملكوت الله" (متى ٢٦ : ٢٩) .

وجرى اليهود على عكس ذلك ،وجاء الاسلام بالاعتدال فأعطى الانسان جميع حقوقه ،وطالبه بما يكون به كاملا فى انسانيته . مرجحا لروحانيته على حيوانيته ،متزودا من دنياه لآخرته " . (١)

القول الثالث : ثبوت المعاد الروحانى والجسمانى معا .

قال الجرجانى : " وهو قول كثير من المحققين كالحليمى والغزالى والراغب وأبى زيد الدبوس ومعمر من علماء المعتزلة وجمهور من متأخرى الامامية والكثير من الصوفية "(٢) وهذا القول هو ما يؤيده الدليل من الكتاب والسنة : وسواء كانت الروح جوهرا مجردا ليس بجسم ولا قوة حالة بالجسم وانما تتعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف أو كانت جسما موصوفا بالدخول والخروج وغير ذلك كما سبق بيانه وهو الراجح فى نظرى فان هذه الصفة للبعث هى الصفة المؤيدة بالدليل والتى يجب على كل مسلم أن يعتقدها . اذ هى مقتضى العدل والحكمة لينال كل من الجسد والروح نصيبه من الجزاء الحسى والمعنوى الثابتين بالأدلة القطعية . وقد سبق أن أشرنا الى سبب انكار الكفار للبعث الجسمانى وهو استبعادهم اعادة الأجسام بعد استحالتها ترابا مبينا كيف عالج القرآن الكريم هذه الشبه وبين بطلانها بأدلة معنوية وحسية .

---

(١) انظر كتابه الوحى المحمدى ص ١٨٠ : ١٨١ ط المكتب الاسلامى الطبعة الثامنة
(٢) انظر المواقف بشرح الجرجانى ج ٨ ص ٢٨٩

وفى الحقيقة ان آيات الكتاب وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد أولت هذه القضية حقها من البيان والشرح ، وقررت وقضوع البعث للروح والجسد جميعا • وان كلمة الانسان تعنى هذا الكائن بعنصريه المعروفين الأرضى والسماوى معا ، ولا يوجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن البعث روحانى مجرد ، أو جسمانى مجرد •

وقد غلط البعض فزعم أن النصوص الشرعية لم تأت بحكم قاطع فى هذه الصفة وأن فى آيات القرآن ما يتحمل بعثا روحانيا مجردا كما يتحمل بعثا ماديا مجردا •

قال عبد الكريم الخطيب :

" والشىء الذى لم يشأ القرآن أن يعرض له وأن يدخل مع المجادلين فيه هو "كيفية البعث " وهل هو بالجسد والروح أو بالروح دون الجسد ؟ فان القرآن لم يلتفت الى هذه الجزئية من القضية لأن أمرها لا يقدم ولا يؤخر فى هذه المسألة فاذا ثبت البعث وآمن به من آمن فلا يعنيه بعد هذا أن يقع على أى صورة • ليكن بالجسد والروح ، أو ليكن بالروح وحدها ، فهو على أى حال حياة يجدها الانسان ويجد فيها وجوده الذى يتعامل به فى الحياة الآخرة ، فينعم بالنعيم ويشقى بالعذاب " •

ويقول فى موضع آخر : " وكذلك شأن القرآن فى موضوع البعث لم يقل انه بالروح أو الجسد ولكنه يقف موقفا وسطا فتارة يبدو وكأنه يقول بالبعث الروحى : كقوله : (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) ، وتارة يلوح وكأنه يقول بالبعث الجسدى فيقول : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه)(١) اهـ

لقد ألقى الخطيب القول على علاته ولم يستقر أمره فى صفة البعث على قرار بين • فقوله : " ان الشىء الذى لم يشأ القرآن أن يعرض له وأن يدخل مع المجادلين فيه هو " كيفية البعث " • ليس له مستند علمى صحيح ولم يسبقه اليه أحد من السلف حسب

---

(١) انظر كتابه الله والانسان ص ٢٨١ / ٢٨٢ ط الثانية مطبعة دار الفكر بمصر

اطلاعي ، بل الحق الذي لا مرية فيه أن القرآن الكريم قد استفاض في مناقشة شبهة استبعاد اعادة الأجساد وبين زيفها وبطلانها بأدلة الامكان والوقوع مع بيان كمال قدرته سبحانه وسعة علمه ، فنفى بيان صفة البعث غلط فاحش وخطأ يوجب التوبة والرجوع الى الله تعالى . والا فما قيمة تلك المناقشات ؟ بل ما معنى تلك المشاهد التي يزخر بها القرآن في وصف الجنة ونعيمها الحسي والمعنوي والنار وعذابها الحسي والمعنوي ؟ ما معنى ذلك اذا لم يكن المقصود به الانسان جسدا وروحا ؟

قال تعالى : (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام . فبأي آلاء ربكما تكذبان . هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون . يطوفون بينها وبين حميم آن . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ولمن خاف مقام ربه جنتان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيهما عينان تجريان . فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) (١) .

ويقول تعالى : مؤكدا النعيم والعذاب الحسيين اللذين وعد بهما الانسان (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون . في جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدّعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون . وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم) (٢)

فهذا النعيم وهذا العذاب وعد به كل من الروح والجسد وسوف ينال الانسان ما يليق به عند ربه !!

---

(١) سورة الرحمن الآيات ٤١ : ٥٦

(٢) سورة الواقعة الآيات ١٠ : ٤٤

ان اقتران الروح والجسد فى كيان الانسان وفى نصوص القرآن والسنة أمر ظاهر لا افتعال فيه ولا ينبغى أن يناوش بهذه الأوهام !!

وقول الخطيب : " ان القرآن لم يلتفت الى هذه الجزئية من القضية لأن أمرها لا يقدم ولا يؤخر " طامة كبرى ومصيبة عظمى اذ كيف يتغافل عن الآيات المناقشة للمنكرين للبعث الجسمانى مع أن أكثرهم يؤمن بالله ويؤمن بنوع من الاعادة ومع ذلك لم يقبل منه الايمان مع انكاره للبعث الجسمانى • ثم لو كان الأمر كما ذكر الخطيب " جزئية لا تقدم ولا تؤخر " فلماذا يكفر الغزالى الفلاسفة فى انكارهم للبعث الجسمانى ؟ ولماذا يحشد القرآن هذه المشاهد التى تشوق الانسان تشوق جسده وروحه بالنعيم المعنوى وتشوقه أيضا بالنعيم الحسى ؟

ولماذا لم تشر الآيات الى هوان الأمر وقبول الايمان المجرد عن أى وصف ؟

وقوله : " ان القرآن لم يقل انه بالروح أو الجسد ولكنه يقف موقفا وسطا • فتارة يبدو وكأنه يقول بالبعث الروحى كقوله تعالى " يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) ، وتارة يلوح وكأنه يقول بالبعث الجسدى فيقول : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) •

ان هذا الوصف للقرآن الكريم لا يليق بمقامه الأرفع وموضوعه الأسنى • فالقرآن كلام الله أنزله هداية ورحمة • ولقد عرض هذه القضية عرضا بينا لا غموض فيه • وما ظنه الخطيب من أن آية : (يا أيتها النفس المطمئنة الخ ••تقول بالبعث الروحى المجرد عن المادة ظن خاطئ ، اذ الخطاب عام ، فمن أين يفهم قصره على الروح وحدها ؟ وكيف يفهم من قوله (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) أنها تقول بالبعث الجسمانى " فهو أيضا فهم غير سديد ، اذ كيف يتصور أن تحيا العظام بدون روح تسرى فيها وتقوم بها •

ان تصور هذا الفهم أمر يدعو للتعجب !!

وأدلة الكتاب والسنة على البعث الجسمانى والروحانى أمر مستفيض وقطعى ولا ينازع فيه الا من ألغى فكره وأعرض عن ذكر ربه • قال تعالى :

- قال تعالى : (أولم ير الانسان أنّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين • وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (١)

أى يبعث فيها الحياة والحركة أوالروح الذى خلقها أول مرة والذى بعث فيها الروح فى الدنيا !!

- وقال تعالى : (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد • لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) (٢) •

فى الآية الاولى يخبر تعالى : عن حال النفس يوم القيامة ويجعلها كيانا مستقلا آخذا طريقه لموقف الحساب !!

ثم تجىء الآية الثانية فتتحدث الى انسان مكتمل المدركات والحواس يبصر ويسمع• فهاتان الآيتان تحدثان عن البعث بصورته المتكاملة !! •

- وقال تعالى : (وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى) (٣) ..الخ

أى يوم البعث يوم يتذكر الانسان ما قدمت يداه من خير أو شر وقد فاته وقت التذكر! وفى التعبير بلفظ الانسان دليل على أن البعث للروح والجسد معا لأن لفظ الانسان لا يطلق على الروح وحدها ،ولا يطلق على الجسد وحده بل يدل على الروح والجسد معا • وصرفه عن ظاهره يحتاج الى دليل علمى قوى ، وليس هناك أى دليل على أن المراد بلفظ الانسان هو الروح وحدها أو الجسد وحده •

وهكذا نرى الأدلة من القرآن تستفيض فى اقرار هذه الصفة وتأتى السنة أيضا فتزيد ذلك ايضاحا واقرارا فتتكافل مع آيات الكتاب • فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله

---

(١) سورة يس آية ٧٧ : ٧٩
(٢) سورة يس آية ٢١ : ٢٢
(٣) سورة الفجر آية ٢٣

صلى الله عليه وسلم قال : (مابين النفختين أربعون قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيـــت • قالوا أربعون شهرا ؟ قال أبيت • قالوا أربعون يوما ؟ قال : أبيت ثم ينـزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ••• الحديث) (١) أي تنبت أجسادهم التى فى الأرض وتحل فيها الروح وينتظرون الاذن بالخروج للحشر •

ومما يؤكد البعث الروحانى الجسمانى ما رواه كعب بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (انما نسمة المؤمن طائر فى شجر الجنة حتى يبعثه الله عز وجل الى جسده يوم القيامة) (٢) •

والضمير فى قوله " الى جسده " يشير الى هذه الصفة التى لايمارى فيها الا من سفه نفسه وتولى عن سبيل المؤمنين •

قال أبو محمد بن حزم : " اتفق أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث فى القيامة ، ومعنى هذا ان لمكث الناس وتناسلهم فى دار البلاء التى هى الدنيا أمدا يعلمه الله تعالى فاذا انتهى ذلك الأمد مات كل من فى الأرض ، ثم يحيى الله تعالى كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان الى انقضاء الأمد المذكور وردّ أرواحهم التى كانت بأعيانها وجمعهم فى موقف واحد وحاسبهم عن جميع أعمالهم ووفاهم جزاءهم ففريق فى الجنة وفريق فى السعير " (٣) •

وهذه الصفة هى ما استفاضت فيها الأدلة الشرعية وأثبتتها ثبوتا قطعى الدلالـة وهى بذلك تخرس كل دعوى تتذبذب فى اثباتها أو تشك فى وقوعها •

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٩١ ــ ٩٢ ط المطبعة المصرية ومكتبتها

(٢) انظر موطأ مالك ص ١٦٤ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى

(٣) انظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ٩٩ : ١٠٠

مسألـــــــة :

هل المبعوث الجسد الأول بعينه أو غيره ؟

نسب شارح المواقف القول بالمثلية الى الحليمى والغزالى والراغب ومعمر من المعتزلة وبعض الامامية والصوفية فقال " فانهم قالوا الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة وهـــى المكلف والمطيع والعاصى والمثاب والمعاقب ، والبدن يجرى فمنها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن فاذا أراد الله تعالى حشر أجساد الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا تتعلق به الروح وتتصرف فيه كما كان فى الدنيا " (١) .

والمتتبع لآيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يجدها تقرر فى وضوح أن المبعوث هو الجسد الأول بعينه لا غيره بدليل :

أولا : أن معظم آيات القرآن التى جاءت لمناقشة المنكرين للبعث الجسمانى جاءت نصا فى هذا الموضوع .

فالمنكرون كانوا يستبعدون اعادة أجسادهم بعد أن أصبحت عظاما بالية وأشلاء متفرقة فى التراب ومتصورة بصورته كما قال تعالى حكاية عنهم :

(أيعدكم أنكم اذا متّم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ، هيهات هيهـــات لما توعدون) (٢) .

وقال تعالى : (قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقيـــن أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) (٣) .

وقال تعالى : (وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد) (٤) .

---

(١) انظر المواقف بشرح الجرجانى ج ٨ ص ٢٨٩
(٢) سورة المؤمنون آية ٣٤/٣٥
(٣) سورة الصافات آية ٥١/ ٥٣
(٤) سورة السجدة آية ١٠

ولذلك أنكر عليهم القرآن استبعادهم ورد على جميع شبههم وبين امكان البعث وثبوت وقوعه بمثل قوله تعالى : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) (١) .

وقوله تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) (٢) .

وقوله تعالى : (قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) (٣) .

تعم بين دليل الامكان بخلقهم الأول وبين ثبوت وقوعه بدليل كمال قدرته وسعة علمه وذلك مما يؤيد القول ببعث الجسد الأول بعينه .

ثانيا : مما يؤكد أن المعاد هو عين الجسد الأول لا غيره قوله تعالى :

(ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون . حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون . وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) (٤) .

فهذه الآيات تتحدث عن جوارح الانسان التى اقترفت الاثم وهى تشهد على صاحبها يوم القيامة بأنه فعل كذا وكذا ولو لم تكن هذه الجوارح هى عين جوارح الانسان التى كانت فى الدنيا لما قبلت شهادتها ولاعتذرت من الله حين استنطقها وقالت : يا ألله أنت حكم عدل لا تظلم أحدا من خلقك فلا تظلمنا بما لم نشاهده وبما لا نعلم عنه شيئا .

---

(١) سورة يس آية ٧٩
(٢) سورة ق آية ٤
(٣) سورة الاسراء آية ٥٠/٥١
(٤) سورة فصلت آية ٢١/٢٢

ولكن لم يحصل شيء من هذا الاعتذار وانما نطقت وأخبرت بما فعل صاحبها !!

فعلم يقينا انها هي عين الجسد الأول .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم قال : بلى . قال : فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني . قال : يقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهودا . قال : فيختم على فيه . فيقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله . قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل) .

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم يقال : " الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي " فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه) (١) .

فاذا كانت أركانه تتكلم وسمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه فهل يبقى شك في أن المعاد هو عين الجسد الأول ؟

لا شك أنه لا يبقى شك في قلب المسلم الذي يؤمن بحجية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الغزالي ممن يقول ان المعاد هو عين الجسد الأول لا غيره :

نسب الجرجاني الى الغزالي والحليمي وبعض علماء الكلام القول بخلق أبدان غير الأبدان الأولى . بل ان الغزالي تبنى هذا القول في مناقشة شبهة الفلاسفة الواردة على استحالة بعث الأجساد في كتابه تهافت الفلاسفة . (٢)

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٢) انظر تهافت الفلاسفة ج ص ٢٩٩

ولكنه فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد يتبرأ من هذا المعتقد ويذكر أنه تبناه على سبيل التنازل مع الخصم ليس الا ٠

واليك ماقرره فى هذه المسألة تتميما للفائدة ٠

قال : " أما الحشر فيعنى به اعادة الخلق ،وقد دلت عليه القواطع الشرعية وهو ممكن بدليل الابتداء فان الاعادة خلق ثان ولافرق بينه وبين الابتداء ،وانما يسمى اعادة بالاضافة الى الابتداء السابق ٠ والقادر على الانشاء والابتداء قادر على الاعادة وهو المعنى بقوله : " قل يحييها الذى أنشأها أول مرة " فان قيل فما تقولون ؟ أتعدم الجواهر والأعراض ثم يعادان جميعا ،أو تعدم الأعراض دون الجواهر وانما تعاد الأعراض ؟ قلنا كل ذلك ممكن وليس فى الشرع دليل قاطع على تعيين أحد هذه الممكنات ٠٠٠٠٠٠ الى قوله :

ومهما قدر الجسم باقيا ورد الأمر الى تجديد أعراض تماثل الأول حصل تصديق الشرع ووقع الخلاص عن اشكال الاعادة وتمييز المعاد عن المثل ٠ وقد أطنبنا فى هذه المسألة فى كتابنا التهافت وسلكنا فى ابطال مذهبهم تقرير بقاء النفس التى هى غير متحيز عندهم ،وتقدير عود تدبيرها الى البدن سواء كان ذلك البدن هو عين جسم الانسان أو غيره وذلك الزام لا يوافق ما يعتقده فان ذلك الكتاب مصنف لابطال مذهبهم لا لاثبات المذهب الحق ولكنهم لما قدّروا أن الانسان هو ما هو باعتبار نفسه وأن اشتغاله بتدبيره كالعارض له والبدن آلة له ألزمناهم بعد اعتقادهم بقاء النفس وجوب التصديق بالاعادة وذلك برجوع النفس الى تدبير بدن من الأبدان " (١) ا ٠ هـ

واذا تقرر أن المعاد هو الجسد الأول بعينه فما هى صفة الاعادة ؟

---

(١) انظر الاقتصاد فى الاعتقاد ص ١٨٠ / ١٨٢ ط مكتبة الجندى بمصر بتحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا

الفصل الثالث

آراء علماء الاسلام فى صفة الاعادة

عرضنا فيما تقدم آراء العلماء فى صفة البعث وتبين لنا أن الحق الذى لا مرية فيه هو بعث الجسد والروح معا ، وهو ما دل عليه الكتاب والسنة والعقل . وبقى لدينا أن نعرف موقفهم من صفة الاعادة ، فنقول وبالله التوفيق :

ان صفة الاعادة من المسائل الخلافية بين علماء الاسلام ، وقد دارت بينهم الخلافات مدارا واسع المدى ، واختلفت فيها وجهات نظرهم اختلافات كثيرة . والحقيقة ان تحديد كيفية الاعادة بالتفصيل لمن الصعوبة بمكان بالنسبة للعقول البشرية اذ هى فوق مستوى العقل البشرى ، وانها مسألة غيبية يعجز العقل عن تحديد كنهها ، ومع ذلك فقد بذلت الاجتهادات الاسلامية وسعها لتقف على حقيقتها ، ولترد على الشائعات الفلسفية التى تنكر الحشر الجسمانى وترمى القائلين به بأنواع الشبه .

وقد استقرأت النصوص المشيرة الى ذلك من قرآن وسنة وأحرزت بحمد الله النصر الكبير على مخالفيها واصبح الخصوم المنكرين كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

واليك أقوالهم بالتفصيل مع بيان القول الراجح منها :

أولا : ذهب علماء الكلام الى أن الاعادة اما عن عدم محض أو عن جمع ما تفرق واليك بيان ذلك :

الرأى الاول :

مذهب من يرى أن الجسم المادى بجواهره وأعراضه يعدمه الله اعداما محضا

حتى لا تبقى له عين ولا أثر ثم يعيده بعد ذلك مرة ثانية فيكون المعاد هـــو الجسد الاول بعينه ليس غيره . وقالوا ان ذلك ممكن عقلا ، واقع شرعا .

أما عقلا : فان المعدوم بعد الوجود لا يمتنع وجوده الثانى لا لذاته ولا للوازم ذاته ، وكل ما لا يمتنع وجوده الثانى لا لذاته ولا للوازم ذاته فوجوده الثانـــى ممكن بالنظر الى ذاته .

ثانيا : ان الاعادة ايجاد أهون من الابتداء فى مقاييس العقل وموازينه وكل ايجاد أهون فهو جائز فالاعادة جائزة . واستدلوا من الشرع بقوله تعالى : (كل من عليها فان) (١) . وقوله عز وجل (كل شىء هالك الا وجهه) (٢) على معنى ان المراد بالهلاك والفناء فى الآيتين الاعدام المحض للعالم بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ،

وبهذا قال أكثر المتكلمين من الاشاعرة وبعض المعتزلة ، كما ذكر ذلك الدوانـــى فى شرحه على العقائد العضدية حيث قال معلقا على قول الماتن :

" تحشر الاجساد وتعاد اليها الارواح " أى " باعادة البدن المعدوم بعينـــه عند بعض المتكلمين بل أكثرهم " (٣) .

الرأى الثانى :

ذهب من يرى أن الاعادة تكون بجمع ما تفرق من الجواهر والاعراض بمعنـــى أن البدن المتكون من جواهر واعراض يتحلل ويتجزأ الى أجزاء صغيرة غير قابلـــة للانقسام بحيث لا يبقى جوهران فردان على الاتصال مع بعضهما ثم الله يجمعهما

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٦

(٢) سورة القصص آية ٨٨

(٣) انظر كتاب محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين تحقيق د / سليمان دنيا ج ٢ ص ٦٠٧ ط دار احياء الكتاب العربى بمصر

للمعاد مرة ثانية . واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية .

فالعقلية : قالوا : ان الاجزاء المتفرقة قابلة للجمع والله سبحانه وتعالى قادر على جمعها لكمال قدرته وسعة علمه وصحة القبول من القابل ، والفعل من الفاعل توجب صحة الوقوع وجوازه مطلقا .

واستدلوا من القرآن الكريم بقوله تعالى : (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) (١) .

وبهذا قال المانعون باستحالة اعادة المعدوم وهم أكثر المعتزلة وبعض الاشاعرة وبعض الكرامية . (٢)

وهذان الرأيان هما المشهوران فى كتب علماء الكلام قاطبة وقد نصرهما فيلسوف المتكلمين الامام الغزالى رحمه الله ودفع شبهة الفلاسفة الواردة عليهما فقال :

" أما الحشر فيعنى به اعادة الخلق وقد دلت عليه القواطع الشرعية وهو ممكن بدليل الابتداء وانما سمى اعادة بالاضافة الى الابتداء السابق ، والقادر على الانشاء قادر على الاعادة . وهو المعنى بقوله تعالى : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) ثم قال رحمه الله : " فان قيل فماذا تقول : أتعدم الجواهر والاعراض ثم يعادان جميعا أو تعدم الاعراض دون الجواهر وانما تعاد الاعراض ، قلنا كل شىء ممكن وليس فى الشرع دليل قاطع على تعيين أحد هذه الممكنات .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠

(٢) انظر المواقف للعضد الايجى مع شرحه للجرجانى ج ٨ ص ٢٦٨

وأحد الوجهين : أن تنعدم الاعراض ويبقى الجسم متصورا بصورة التراب مثلا فتكون قد زالت منه الحياة واللون والرطوبة والتركيب والهيئة ، وجملة من الاعراض ، ويكون معنى اعادتها أن تعاد اليها تلك الاجزاء بعينها وتعاد اليها أمثالها فان العرض عندنا لا يبقى ، والحياة عرض والموجود عندنا في كل ساعة عرض آخر والانسان هو ذلك الانسان باعتبار جسمه فانه واحد لا باعتبار أعراضه فان كل عرض يتجدد هو غير الآخر .

والوجه الثاني : أن تنعدم الاجسام أيضا ثم تعاد بأن تخترع مرة ثانية ، فان قيل فبم يتميز المعاد عن المثل . وما معنى قولكم ان المعاد هو عين الاول ولم يبق للمعدوم عين حين يعاد ... ؟

قلنا : المعدوم ينقسم في علم الله الى ماسبق له وجود والى ما لم يسبق له وجود كما أن العدم في الازل ينقسم الى ماسيكون له وجود والى ما علم الله تعالى أنه لا يوجد فهذا الانقسام في علم الله لا سبيل الى انكاره .

والعلم شامل والقدرة واسعة ، فمعنى الاعادة أن نبدل الوجود بالعدم الذي سبق له وجود - ومعنى المثل أن نخترع الوجود لعدم لم يسبق له وجود فهذا معنى الاعادة " . (١)

وقال عبد السلام في شرحه على الجوهره : " (وقل) أي أيها المكلف ببعث الحشر وهو المعاد الجسماني قولا مطابقا لاعتقاده أنه (يعاد الجسم) أي يعيده الله (بالتصغير) متعلق بقل أو بيعاد اعادة ناشئة (عن عدم) محض فيعدم الله العالم بلا واسطة فيصير معدوما بالكلية كما أوجده كذلك فصار موجودا

---

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٨٢ بتحقيق محمد مصطفى ابو العلا طبع مكتبة الجندي بمصر .

ثم يوجد . ثم قال رحمه الله : " وهذا قول أهل الحق - والمعتزلة القائلون بصحة الفناء على الاجساد يقولون بوقوعه . وهو الصحيح ولذا قدمه جازما وعكى مقابله بصيغة التمريض أعنى قوله (وقيل) تعاد الاجساد للحشر اعادة ناشئة (عن تفريق محضين) فيذهب الله العين والاثر جميعا بحيث لا يبقى فى الجسم جوهران على الاتصال " . (١)

وقال سعد الدين التفتازانى تعليقا على العقائد النسفية :

"والبعث " وهو أن يبعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الاصيلة ويعيد الارواح اليها (حق) لقوله تعالى : " ثم انكم يوم القيامة تبعثون) . وقوله تعالى : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) الى غير ذلك من النصوص القاطعة بحشر الاجساد وأنكره الفلاسفة بناء على امتناع المعدوم بعينه وهو مع أنه لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضر بالمقصود ،لان مرادنا ان الله تعالى يجمع الاجزاء الاصيلة فى الجسم ويعيد روحه اليه سواء سمى ذلك اعادة المعدوم بعينه أو لم يسم وبهذا سقط ما قالوا : انه لو أكل انسان انسانا بحيث صار جزءا منه فتلك الاجزاء اما أن تعاد فيهما وهو محال أو فى أحدهما فلا يكون الآخر معادا بجميع أجزائه وذلك لان المعاد انما هو الاجزاء الاصيلة الباقية من أول العمر الى آخره والاجزاء المأكولة فضلة فى الآكل لا أصيلة " . (٢)

ثانيا : مذهب السلف :

قال شارح الطحاويه : " القول الذى عليه السلف وجمهور العقلاء أن الاجسام تتقلب من حال الى حال ،فتستحيل ترابا ،ثم ينشئها الله نشأة أخرى ،

---

(١) انظر شرح عبد السلام على الجوهره ص ١٨٢

(٢) انظر شرح سعد الدين التفتازانى على العقائد النسفية ص ١١١ طبع المطبعة الخيرية بمصر .

كما استحال الجسم في النشأة الاولى : فانه كان نطفة ، ثم صار علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ولحما ، ثم أنشأه خلقا سويا . كذلك الاعادة : يعيده بعد أن يبلى كله الا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح "عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب" .

وفي حديث آخر : "ان السماء تمطر مطرا كمني الرجال فينبتون في القبور كما ينبت النبات" .

فالنشأتان نوعان تحت جنس ، يتفقان ويتماثلان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه والمعاد هو الاول بعينه ، وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البداءة فرق "فعجب الذنب هو الذي يبقى ، وأما سائره فيستحيل ، فيعاد من المادة التي استحال اليها . ثم قال رحمه الله : منبها الى عدم تأثير الاستحالة : ومعلوم أن من رأى شخصا وهو صغير ، ثم رآه وقد صار شيخا ، علم أن هذا هو ذاك ، مع أنه دائما في تحلل واستحالة .

وكذلك سائر الحيوان والنبات ، فمن رأى شجرة وهي صغيرة ، ثم رآها كبيرة ، قال : هذه تلك .

وقال رحمه الله مستطردا في عرض عقيدة السلف :

" وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة ، حتى يقال ان الصفات هي المغيرة ، لاسيما أهل الجنة اذا دخلوها فانهم يدخلونها "على صورة آدم ، طوالهم ستون ذراعا" كما ثبت في الصحيح وروى أن عرض أحدهم "سبعة أذرع" . وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات ، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات" .(١)

---

(١) انظر شرح الطحاوية لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ص ٤٦٣ و ٤٦٤ ط . المكتب الاسلامي بيروت سنة ١٣٩١هـ ، بتحقيق جماعة من العلماء وتخريج محمد ناصر الدين الالباني الطبعة الرابعة .

والى هذا ذهب ابن تيمية (١) وابن القيم عليهما رحمة الله (٢) وسوف تأتى بعض النقول عنهما تؤكد ما قلناه ان شاء الله تعالى .

قال ابن تيمية :

" والمقصود ان علماء الكلام لما كان أصلهم فى ابتداء الخلق هو القول بالجوهر الفرد - كان أصلهم فى المعاد مبنيا عليه فصاروا على قولين :

منهم من يقول تعدم الجواهر ثم تعاد .

ومنهم من يقول تتفرق الاجزاء ثم تجمع فأورد عليهم الانسان الذى يأكله حيوان . وذلك الحيوان أكله انسان آخر . فان أعيدت تلك الاجزاء من هذا لم تعد من هذا .

وأورد عليهم أن الانسان يتحلل دائما فما الذى يعاد أهو الذى كان وقت الموت؟ فان قيل : بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة . وهو خلاف ما جاءت به النصوص. وان كان غير ذلك فليس بعض الابدان بأولى من بعض .

فادعى بعضهم أن فى الانسان أجزاء أصيلة لا تتحلل ، ولا يكون فيها شىء من ذلك الحيوان الذى أكله الثانى ، والعقلاء يعلمون ان بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شىء باق . فصار ما ذكروه فى المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة فى انكار معاد الابدان ، وأوجب ان صار طائفة من النظار الى أن الله يخلق بدنا آخر تعود الروح اليه ، والمقصود تعذيب الروح وتنعيمها سواء كان هذا فى البدن أو فى غيره وهذا أيضا مخالف للنصوص الصريحة باعادة هذا البدن . اهـ . (٣)

وقال رحمه الله فى موضع آخر :

---

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٤٨ : ٢٦٠ الطبعة الاولى ١٣٨٢ بمطابع الرياض

(٢) انظر مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزيه الجزء الثانى ص ٣٤ - ٣٥

(٣) انظر الفتاوى ج ١٧ ص ٢٤٦ - ٢٤٧

" لقد اضطرب علماء الكلام في المعاد ومعرفة المعاد مبنية على المبدأ ، والبحث مبني على الخلق .

فقال بعضهم : هو تفريق تلك الاجزاء ثم خلقها وهي باقية بأعيانها ،

وقال بعضهم : بل يعدمها ويعدم الاعراض القائمة بها ثم يعيدها ، وإذا أعادها فانه يعيد تلك الجواهر التي كانت باقية الى أن حصلت في هذا الانسان .

ولهذا اضطربوا لما قيل لهم فالانسان اذا أكله حيوان آخر فان أعيدت تلك الجواهر من الاول نقصت من الثاني ، وبالعكس .

أما على قول من يقول انها تفرق ثم تجمع ، فقيل له : تلك الجواهر ان جعلت للآكل نقصت من المأكول ، وان أعيدت للمأكول نقصت من الآكل .

وأما الذي يقول تعدم ثم تعاد بأعيانها فقيل له : أتعاد لما أكلها أم قبل أن يأكلها ؟

فان كان بعد أن أكلها فانها تعاد في الآكل فينقص المأكول . وان كان قبل الاكل فالآكل لم يأكل جواهر فهذه مكابره .

وبعد أن يورد هذه الشبهة التي تضعف كلا من الرأيين يقرر رأيه في المسألة فيقول : " والمشهور أن الانسان يبلى ويصير ترابا كما خلق من تراب وبذلك أخبر الله فان قيل انه اذا صار ترابا عدمت الجواهر ، فهو لما خلق من تراب عدمت أيضا تلك الجواهر . فجعل الجواهر باقية في جميع الاستحالات الا اذا صار ترابا تناقض بين ، ويلزمهم عليه الحيوان المأكول وغير ذلك . (١)

وقال ابن القيم رحمه الله :

" وأما ما خلقه سبحانه فانه أوجده لحكمة فمن ايجاده ، فاذا اقتضت حكمته

---

(١) انظر كتاب النبوات لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٥٦ طبع دار الفكر

اعدامه جملة أعدمه وأحدث بدله ، واذا اقتضت حكمته تبديله وتغييره وتحويله من صورة الى صورة بدله وغيره وحوله ولم يعدمه جملة .

ومن فهم هذا فهم مسألة المعاد وما جاءت به الرسل فيه . فان القرآن والسنة انما دلا على تغيير العالم وتحويله وتبديله لا جعله عدما محضا واعدامه بالكلية فدل على تبديل الارض غير الارض والسموات وعلى تشقق السماء وانفطارها وتكوير الشمس وانتثار الكواكب وسجر البحار وانزال المطر على أجزاء بنى آدم المختلطة بالتراب فينبتون كما ينبت النبات وترد تلك الارواح بعينها الى تلك الاجساد التى أميلت ثم أنشئت نشأة أخرى " .

ثم يقول بعد استطراد طويل فى هذا الموضوع :

" قد أخبر الله سبحانه أنه يحيى العظام بعد ما صارت رميما وأنه قد علم ما تنقص الارض من لحوم بنى آدم وعظامهم فيرد ذلك اليهم عند النشأة الثانية وأنه ينشىء تلك الاجساد بعينها بعد ما بليت نشأة أخرى ويرد اليها تلك الارواح " . (١)

ويقول الدكتور الشيخ محمد خليل هراس تعليقا على قول ابن قيم الجوزية والله ينشىء خلقه فى نشأة أخرى كما قد جاء فى القرآن (٢)

يقول : " يزعم الفلاسفة المنكرون للبعث والمعاد الجسمانى أنه لا بد فى البعث من اعادة الاجسام التى كانت فى الدنيا بأعيانها ، يعنى بجميع صفاتها وأعراضها التى كانت لها فى الدنيا . ولما كان ذلك مستحيلا فقد أدى بهم ذلك الى انكار

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزيه الجزء الثانى ص ٣٤ - ٣٥ طبع دار الكتب العلمية بيروت

(٢) انظر شرحه القصيد النونية لابن قيم الجوزية ص ٣٩ طبع مطبعة الامام ١٣ شارع قرقور المنشية بالقلعة بمصر

البحث ، وللرد عليهم نقول : " ان الله ينشىء الخلق ويؤلفهم تأليفا جديدا كما قال تعالى : (ثم الله ينشىء النشأة الآخرة) . وقال : (وأن عليه النشأة الأخرى) وليس بلازم في الاعادة ولا كون الشخص الثاني عين الاول أن يعاد الجسم بجميع أجزائه فان الشخص في الدنيا يكون صغيرا ثم ينمو وينتقل من طور الى طور وهو في كل هذه الاطوار في تجدد دائم واستحالة مستمرة ، فتخرج منه أجزاء وتتجدد له أخرى ومع ذلك هو في كل هذه الاطوار هو ، لم يقل أحد أنه شخص آخر فكذلك النشأة الاخرى هي بمثابة طور من تلك الاطوار التي تحدث للانسان بحيث لا يشك من يراه أنه هو ذلك الشخص الذي كان في الدنيا .

موقف القرآن والسنة من هذه الآراء :

اننا اذا نظرنا الى آيات القرآن الكريم كقوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)(١) . وقوله عز وجل : (والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا)(٢) . وقوله سبحانه : (ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ)(٣) . اذا نظرنا في هذه الآيات نراها تشير الى صفة البعث ولكنها في الحقيقة صفة مجملة . فهي تنص على أن الخلق يعودون من التراب الذي منه خلقوا وتعرض أدلة الامكان على ذلك المتمثلة في كمال القدرة وسعة العلم الالهي . هذا كل ما يمكن قوله في مثل هذه الآيات فهي لم تفصل كيفية الاعادة ، ولم تعرض لاطوارها ان كان لها أطوار وانما أخبرت اخبارا قاطعا بثبوت الاعادة من المادة التي استحالت اليها الاجسام . وكذا الحال في الآيات الأخر كقوله عز وجل : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة

---

(١) سورة طه آية ٥٥

(٢) سورة نوح آية ١٦ - ١٧

(٣) سورة ق آية ١ : ٤

وهو بكل خلق عليم) . (١) وقوله عز وجل : (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّى بنانه) . (٢) . وقوله سبحانه : (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد) (٣) . وغيرها من الآيات التى تعرض شبه المنكرين للبعث المتمثلة فى استبعادهم لاعادة أبدانهم التى مزقها البلى وأكلتها الارض وأصبحت رميما .

فانها أيضا لم تعرض لكيفية اعادة تلك الاجساد على نحو معين وانما دلت على أن الاعادة أمر سهل وميسور على الله تعالى الذى خلق الانسان ولم يك شيئا . والذى يعلم ما أكلته الارض وما أبقته لكمال علمه وسعة احاطته بكل شىء ، وأنه تعالى قادر على أن يجمع العظام ويسوى البنان وهو أدق عضو ومفصل فى الانسان . وهذا كل ما يمكن أن نقوله فى الآيات ولا نستطيع الجزم بأن الاعادة هى جمع تلك الاجزاء الصغيرة التى هى من أصول الخلق على رأى علماء الكلام بعد تفرقها الى اجزاء صغيرة غير قابلة للانقسام أو أنها تكون بعد اعدامها عدما محضا ، لان النصوص القرآنيـــة التى بين أيدينا لا تعطينا هذا المعنى ، وانما هى اخبار مجرد بقدرته تعالـى على اعادة الانسان الاول بعينه جسدا وروحا . ويبقى السؤال عن تفاصيل الاعادة هل هى كما يقول علماء الكلام : اعادة الجواهر الفرد بعد عدمها العدم المحض أو بعد تفرقها التفرق المحض ؟ أو هى كما يقول السلف خلق ثان جديد مادتـــه التراب الذى استحال اليه مرة ثانية .

ان المتأمل فى الآيات السابقة يجدها تجيب على التساؤل الاخير كما يؤكده أيضا تفسير السلف لهذه الآيات .

---

(١) سورة يس آية ٧٨ / ٧٩
(٢) سورة القيامة آية ٣
(٣) سورة سبأ آية ٧

قال ابن تيمية رحمه الله قال الحسن البصري ومجاهد : " كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء .

وقال قتادة : " بدأهم من التراب والى التراب يعودون كما قال تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (١) . وقال : (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) . (٢)

وأما السنة : فاننا اذا نظرنا الى نصوصها كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة : " مابين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال : أبيت . قالوا أربعون شهرا ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة قال أبيت . ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة " .

وفي رواية : " كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب " .
وفي رواية أخرى : " ان في الانسان عظما واحدا لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامه . قالوا : أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال عجب الذنب " .

وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في حديث نفخ الصور حيث قال : " ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون " . (٣)

اذا نظرنا الى هذه الاحاديث النبوية نراها تقرر في وضوح اعادة الجسد الاول من التراب الذي استحال اليه ، وان الارض تأكل ابن آدم كله الا عجب ذنبه وأما بقية الجسد فانه يفنى ويضل فيها والله سبحانه وتعالى بقدرته يتولى خلقه الثاني

---

(١) سورة طه آية ٥٥
(٢) سورة الاعراف آية ٢٥
(٣) انظر تخريج الاحاديث ص ١٢٥ من الرسالة

فيحي تلك الاجساد الميتة فيؤلف خلقها ويكمل صورتها بماينزله على الارض من الماء الذى يهضب عليها كأنه الطل حتى اذا اكتملت الصورة وتم الخلق أذن لهم بالخروج بالنفخة الثانية نفخة البعث فخرج الناس من قبورهم ومكامنهم احياء كأنهم الى نصب يوفضون . وتلك ساعة الحشر الى الله التى أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله من حديث عائشة رضى الله عنها " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا " (١) ومعنى غرلا غير مختنين .

قال النووى رحمه الله : " الغرل بضم الغين المعجمه واسكان الراء معناه غير مختنين جمع أغرل وهو الذى لم يختن وبقيت معه غرلته وهى قلفته وهى الجلده التى تقطع فى الختان " (٢) .

قلت وفيه دلالة على كون المعاد يعاد فى أعز كماله الخلقى سالما من العيوب والآفات المعيبة ويعاد كما خلق ليس معه شىء ولا يفقد منه شىء . واعادته تكون من المادة التى استحال اليها هذا هو مايعطيناه اللفظ النبوى وليس لنا أن نخترع صفة أخرى غير هذه ! !

ولعل فى قوله تعالى : (ثم الله ينشىء النشأة الآخرة) وقوله تعالى : (وأن عليه النشأة الأخرى) وقوله تعالى : (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقيـــن على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) ما يهدى الى الوقوف عند النصوص السابقة .

قال ابن تيميه قال الحسن بن الفضل البجلى الذى عندى فى هذه الآية يعنى قوله تعالى : " وننشئكم فيما لا تعلمون " أى أخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئت ، وذلك انكم علمتم النشأة الاولى كيف كانت فى بطون الامهات وليست الاخرى كذلك " .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٩٢

(٢) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٩٣

قال ابن تيميه : " ومعلوم أن النشأة الاولى كان الانسان نطفة من منى الرجل ثم علقة ثم مضغة ثم ينفخ فيه الروح . وتلك النطفة من منى الرجل والمرأة ، وهو يغذيه بدم الطمث الذى يربى الله به الجنين فى ظلمات ثلاث : ظلمة المشيمة وظلمة الرحم ، وظلمة البطن .

والنشأة الثانية لا يكون فى بطن امرأة ولا يغذون بدم ولا يكون أحدهم نطفة رجل وامرأة ثم يصيرون علقة ، بل ينشئون نشأة أخرى وتكون المادة من التراب ". (١)

قلت : وهذا التأويل الذى ذهب اليه الحسن بن الفضل البجلى واستحسنه شيخ الاسلام ابن تيميه رحمهما الله جميعا تأويل حسن بل ان سياق الايات يؤيد ذلك ـ ان موضوع السورة كلها البعث . والله أعلم .

القول الراجـــــح :

لقد تبين انا من عرض أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف أن القول الراجح هو ما ذهب اليه السلف من أن الاجساد تتقلب من حال الى حال فتستحيل الى التراب والله سبحانه وتعالى يعيدها مما استحالت اليه فينشئ لحمها وعظامهـا ويبعث فيها الحياة مرة ثانية بحيث يكون المعاد هو الجسد الاول بعينه بعد رجوع روحه اليه وذلك أمر ممكن عقلا وواقع شرعا اذ هو المشاهد فى خلق الله ، فانه سبحانه يخلق الجسم من الجسم كما خلق الانسان من الماء المهين وخلق من الماء المهين علقة ثم خلق من العلقة مضغة ثم خلق من المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما ثم سواه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .

وخلق الثمر بتقلب المادة التى يخرجها من الشجرة من الرطوبة والهواء والماء الذى نزل عليها ، وكذلك الحب يخلقه ويقلب المواد التى يخلقها منه الى سنبله ثم الى ثمرة

---

(١) انظر الفتاوى لابن تيميه ج ١٧ ص ٢٥٢ - ٢٥٣

جديدة وكذا الاعادة ، فالاجساد تبلى وتستحيل الى التراب ، والله يعيدها مما استطالت اليه كما قال تعالى : (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) وقال : (كما بدأكم تعودون) وقال (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

فالاجساد تعود الى التراب ، والتراب يأكلها كلها الا ما نصت السنة الصحيحة على بقائه وعدم زواله كعجب الذنب كما تقدم في حديث أبي هريرة .

ثانيا : أجساد الانبياء فانها لا تأكلها الارض بدليل حديث أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : "ان أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة عليّ . قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ أي يقولون قد بليت . قال : "ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء عليهم السلام" . (١)

ثالثا : أجساد الشهداء . قال البخاري رحمه الله : حدثنا مسدد حدثنا بشر ابن الفضل حدثنا حسين عن عطاء عن جابر قال : لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي : ما أراني الا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وانى لا أترك بعدي أعز منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان علي دينا فاقض واستوصي باخواتك . فأصبحنا وكان أول قتيل فدفنت معه آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر واستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيوم وضعته هنيهة غير اذنه . وفي رواية "غير هنية في اذنه" (٢) قال ابن حجر وهي الصواب . (٣)

---

(١) انظر سنن النسائي ج ٣ ص ٩١
(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٤ رقم الحديث ١٣٥١
(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٢١٦

وقد أخرج الترمذى فى قصة أصحاب الاخدود : "ان الغلام الذى قتله الملك ودفن واصبعه على صدغه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا اصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل".(١)

قلت : واذا وقع هذا لاجساد الشهداء فان أجساد الانبياء من باب أولى .

قال الشعرانى قال القرطبى : (لا فرق فى عدم البلى للشهيد بين شهدائنا وشهداء الامم السابقة الذين جاهدوا مع أنبيائهم وماتوا فى القتال" .(٢)

وقال الشعرانى أيضا : قال العلماء انما لم تأكل الارض أجساد الشهداء لكونهم أحياء عند ربهم يرزقون كما صرح به القرآن وثبت فى الصحيح أن عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الانصارى دفنا فى قبر واحد يوم أحد فجر السيل عن قبرهما فحفروا عليهما لينقلا الى مكان آخر فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس ، وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فكانوا يرفعون يده عن الجرح فترجع الى ما كانت وذلك بعد ست وأربعين سنة من وقعة أحد".(٣)

وقال ابن حجر رحمه الله : فى شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم : "كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب) قال العلماء : "هذا عام مخصوص منه الانبياء لان الارض لا تأكل أجسادهم وألحق ابن عبدالبر بهم الشهداء .

والقرطبى المؤذن المحتسب . ثم قال : قال عياض : وتأويل الخبر وهو كل ابن آدم يأكله التراب "أى كل ابن آدم مما يأكله التراب وان كان التراب لا يأكل أجساد كثيرة كالانبياء" (٤)

---

(١) انظر جامع الترمذى مع شرحه تحفة الاحوذى ج ٩ ص ٢٦٥ طبع مطبعة الاعتماد نشر عبدالمحسن الكتبى بالمدينة

(٢) انظر مختصر التذكرة للشعرانى ص ٥١

(٣) انظر مختصر التذكرة للشعرانى ص ٥١

(٤) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٥٥٣

وقال ابن قيم الجوزيه رحمه الله :

والانبياء فانهم تحت الثرى ... أجسادهم حفظت من الديدان
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبدا وهم تحت التراب يدان
وكذاك عجب الذنب لا يبلى بلى ... منه تركب خلقة الانسان (١)

هذه معتقدات أهل السنة والجماعة فى الذين لا تأكل الارض أما الباقى فانه يستحيل الى التراب والله سبحانه وتعالى يعيد الجميع اليه يوم القيامة من استحال ومن لم يستحل والمعاد هو الاول بعينه لا غيره .

واذا تقرر هذا القول فان هناك مباحثا لابد من الاشارة اليها فى تقرير صفة الاعادة وهى :

المبحث الاول :

قد يسأل سائل فيقول : هل هناك فرق بين المبدأ والمعاد أم لا ؟

الجواب : ان الذى عليه المسلمون جميعا الا من شذ هو أن الذى ابتدئ فى الدنيا هو الذى يعاد فى الآخرة (٢) وان كان هناك بعض الفروق . ومعنى ذلك انه ليس هناك فرق بين المبدأ والمعاد . وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البدأة فرق . فذلك الفرق لا يمنع أن يكون الثانى هو الاول بعينه ، لما علم من أن النشأتين الاولى والثانية نوعان تحت جنس واحد يتفقان ويتماثلان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر . ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله .

فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو .

وباعتبار ما بين النشأتين من فروق فهو مثله .

فاللبس انما يحصل عند من لم يفرق بين النشأتين وأما من آمن وأدرك أن لكل

---

(١) انظر الابيات مع شرحها فى معارج القبول للشيخ حافظ احمد الحكمى ج ٢ ص ٢٠٢ طبع المطبعة السلفية ومكتبتها

(٢) انظر مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابى الحسن الاشعرى بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد الجزء الثانى ص ٦٢ طبع مكتبة النهضة المصرية

واحدة منهما خصائص لا تشاركها فيها الاخرى فانه لا يصعب عليه الفهم ولا يفوته الايمان بل يزداد يقينه أن الاختلاف بين النشأتين لا يؤثر فى عينية المعاد لانه اختلاف بسبب تغاير النشأتين .

وبيان ذلك : ان النشأة الاولى علم عقلا وعرفا وشرعا كونها كاملة فاسدة ، وأما النشأة الثانية فانها كاملة لا فاسدة بل هى باقية وخالده . وكذا الانسان فانه فى نشأته الثانية يختلف ، ولا بد من نشأته فى حياته الاولى كما جاء ذلك فى حديث جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون . قالوا فما بال الطعام ؟ قال جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس " . (١)

وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وان لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدا فذلك قوله عز وجل : (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) . (٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث " . (٣)

وغير ذلك من الاحاديث الصريحة فى تغاير النشأتين وأهلهما . مع عدم تأثير ذلك فى عينية المعاد لان التغاير فى الاوصاف والاحوال فقط .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٧٢
(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٧ ص ١٧٥
(٣) المصدر نفسه ج ١٧ ص ١٨٦

ومن هنا نلحظ أن المراد بلفظ المعاد هو حقيقة الشخص أى أن الموجود في المرة الثانية هو الموجود في المرة الاولى وان اختلفت الصفات . ولهذا يقال في المعاد هو هو ، ويقال هو مثله وكلاهما صحيح . فحقيقة الشخص لا تتغير وهذا هو المعقول من خطاب الله وهو ما فهمه المسلمون والمشركون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما دل عليه لفظ الاعادة اللغوى . وان كون الشكل والاجتماع للشخص غير الشكل الاول والاجتماع السابق لا يقدح في المقصود وهو حشر الاشخاص الانسانية بعينها فان زيدا مثلا شخص واحد محفوظ بوحدته الشخصية من أول عمره الى آخره بحسب العرف والشرع ولذلك فهو يؤاخذ عرفا وشرعا بعد التبدل بما لزمه قبله .

قال ابن تيميه رحمه الله : "المعاد هو الاول بعينه وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البداءة فرق . فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الاول ليس الجسد الثاني مباينا للاول من كل وجه كما زعم البعض .

ولا أن النشأة الثانية كالاولى من كل وجه لما ظن البعض . وكما أنه سبحانه خلق الانسان - ولم يكن شيئا كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا ثم قال رحمه الله : "وعلى هذا فالانسان الذى صار ترابا ونبت من ذلك التراب نبات آخر أكله انسان آخر وصلم جزءا ، والانسان الذى أكله انسان أو حيوان ، وأكل ذلك الحيوان انسانا آخر ، ففى هذا كله قد عدم هذا الانسان ، وهذا الانسان ، وصار كل منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق ، ثم يعاد هذا ، ويعاد هذا من التراب . وانما يبقى عجب الذنب منه خلق ، وفيه يركب ، وأما سائره فعدم ، فيعاد من المادة التى استحال اليها . فاذا استحال فى القبر الواحد ألف ميت وصاروا كلهم ترابا ، فانهم يعادون ويقومون من ذلك القبر ، وينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عدما محضا كما أنشأهم أولا بعد أن كانوا عدما محضا" (٢) .

---

(١) اعنى تبدل خلاياها التى ثبت علميا تبدلها نهائيا فى كل سبع سنين مرة واحدة

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٥٦

نعم ان عدم تغيير الصفات لحقيقة الشخص مما تواترت بداهته ولا سيما في زمن العلم الحديث وبعد اكتشاف تجدد الخلايا الجسدية تجددا نهائيا في كل عشر سنين أو أقل ومع هذا التجدد فان حقيقة الانسان والحيوان أو النبات واحدة لم تتغير في أي فترة من فترات الاستطالة والتجدد والله أعلم .

المبحث الثاني

قد يقول قائل ان الجسد المادى دائم التحلل والتبدل فهل يغير ذلك من الحقيقة شيئا . وهل الشخص المعاد يعاد فى الحالة التى كانت وقت موته أم يعاد فى فترة أخرى من فترات وقته السابق لموته ؟

فان قلتم انه يعاد فى وقته حال موته لزم أن يعاد على حالة ضعفه .
وان قلتم بل يعاد فى وقت من أوقاته السابقة لوقت موته لزم ان يكون لبعض الاجساد حال أحسن من البعض الآخر ! !

وكلا القولين مخالف لما وردت به النصوص من كون أهل الجنة يدخلونها فى صورة أبيهم آدم بطول ستون ذراعا .
وكون الكافر يدخل النار وضرسه كجبل أحد . فما هو الجواب ؟

الجواب : ان كون الاجساد فى تحلل دائم أمر عرفه العلم والعلماء وأصبح من البديهيات التى عرفها الناس ! !
وأما كونه يؤثر فى حقيقة الشخص فى الدنيا أو فى الآخرة فهو محل للتساؤل، والذى دل عليه العقل والعرف والشرع ان ذلك لا يغير شيئا من حقيقة المعاد ، فالكل يشاهد أن زيدا المعروف والموجود فى عام ألف وثلاث مائة وثمانين من الهجرة النبوية هو زيد المعروف والذى كان موجودا وحيا فى عام ألف وثلاث مائة وسبعين من الهجرة مع حصول التحلل والتجدد له فى هذه الفترة ، ومع ذلك لم يغير شيئا من حقيقته وان حصل تغير فى بعض صفاته وملامحه الظاهره ! !فزيد هو زيد عقلا وشرعا لانه لو بنى على غيره فى الفترة الاولى من عمره ثم مرت عليه تلك السنون المغيرة لخلاياه الجسدية ثم عوتب على جنايته تلك لكان العقاب واقعا فى محله .

ومن هنا نعلم أن قول القائل انه يعاد على حاله كذا وكذا من حالات ضعفه وقوته وشبابه وهرمه أو سمنه وهزاله لا معنى له ! !

بل الحق أن يقال انه يعاد على اكمل صورة وأتم خلقه كما جاءت بذلك النصوص من الكتاب والسنة وهو أمر ممكن لكمال قدرته تعالى التي لا يقف أمامها شيء .

قال ابن الجوزي رحمه الله : "فان قالوا : الابدان تنحل وتؤكل وتستحيل قلنا : القدرة لا يقف بين يديها شيء ، على أن الانسان انسان بنفسه فلو وضع له البدن من التراب لم يخرج عن كونه هو هو . كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر الى الكبر وبالهزال والسمن .

فان قالوا : لم يكن البدن بدنا حتى يرقى من حاله الى أن صار لحما وعروقا . قلنا قدرة الله سبحانه لا تقف على المفهوم المشاهد ، ثم قد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم : "أن الاجساد تنبت في القبور قبل البعث" . (١)

وهو بهذا يقرر رحمه الله كون المعاد هو الاول بعينه مع حصول التجدد والاستحالة له وذلك لكمال القدرة الالاهية على ذلك .

وقد لمح هذا المعنى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقال :

"قول القائل يعيده على صفة ما كان وقت موته أو سمنه أو هزاله أو غير ذلك جهل منه ؟ فان صفة تلك النشأة الثانية ليست مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال ان الصفات هي المغيرة . اذ ليس هناك استحالة ولا استفراغ ولا امتلاء ، ولا سمن ، ولا هزال ، ولا سيما أهل الجنة اذا دخلوها فانهم يدخلونها على صورة أبيهم آدم ، طول أحدهم ستون ذراعا كما ثبت في الصحيحين . وروى أن عرضه سبعة أذرع ، وهم لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ، ولا يتمخطون" (٢) .

---

(١) انظر نقد العلم والعلماء لابن الجوزي ص ٤٨ طبع سنة ١٣٩٦هـ ١٩٦٧م

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية ج ١٧ ص ٢٦٠

وهنا نلحظ ان شيخ الاسلام يتهكم من تفاهة رأى هؤلاء الظانين تأثير الاستحالة فى تغيير حقيقة الشخص . وحق له أن يجهلهم لان تغير الصفات الجسدية أمر شكلى لا يغير من الحقيقة شيئا ، نعم انه لا اعتبار له بل ليس هناك مجال للمقارنة بين انسان الدنيا وانسان الآخرة اذ الثانى أكمل صورة وأعظم خلقا ، والحياة الثانية تختلف عن الاولى كثيرا والمعاد وان كان نفس المبدأ يختلف عنه أيضا لأمور منها :

أولا : أن اعادته دفعية فليس هناك تنقل فى بطن الام وليس هناك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى آخر تطورات الانسان فى عالمه الاول . بل يعاد دفعة واحدة من التراب كما قال عز وجل : (فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) (١) وقال سبحانه وتعالى : (ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) (٢)

ثانيا : أنه انسان باقى فى عالم باقى الى غير ذلك من التغاير (الذى فرضته طبيعة الحياتين . والله أعلم .

---

(١) سورة النازعات آية ١٣ - ١٤

(٢) سورة ياسين آية ٥٣

المبحث الثالث
مناقشة أدلة المتكلمين النقلية

قد يقول قائل : رجحتم مذهب السلف على مذهب علماء الكلام فى صفة الاعادة فما هو الجواب عن ما استدل به القائلون بانعدام الابدان من قوله تعالى (كل شىء هالك الا وجهه) . وقوله تعالى (كل من عليها فان) .

وما استدل به القائلون باعادة الأبدان عن جمع ما تفرق من الأجزاء من قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى ؟ قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) .

الجـــــواب :

أولا : ان هذه الآيات التى استدل بها علماء الكلام على صفة الاعادة غير صريحة الدلالة بل هى مرجوحة بما ذهب اليه السلف وذلك لان قوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) وقوله : (كل من عليها فان) قد فسرهما أئمة التفسير على معنى أن الله تعالى يميت جميع الخلق انسهم وجنهم وأنه تعالى هو الحى الباقى الذى لا يموت ولا يتغير .

وأما كون المعنى أنه تعالى يعدم العالم اعداما محضا حتى لا يبقى له عين ولا أثر فان ذلك بعيد عن معنى الآيتين وان كان أمرا ممكنا بالنسبة لقدرته تعالى .

وهذه نماذج من أقوال المفسرين لهاتين الآيتين :

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى : قوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) اختلف فى معنى قوله (الا وجهه) :

فقال بعضهم معناه كل شيء هالك الا هو .

وقال آخرون معنى ذلك الا ما أريد به وجهه واستشهدوا لتأويلهم بقـــول الشاعر :

استغفر الله ذنبا لست محصيه ... رب العباد اليه الوجه والعمل (١)

وقال : في قوله تعالى : (كل من عليها فان) أي كل من على ظهر الارض من جن وانس فانه هالك ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والاكرام " (٢) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : قوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) اخبار بانه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى (كل من عليها فان ،ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فعبر بالوجه عن الذات ، وهكذا قوله ههنا (كل شيء هالك الا وجهه) أي الا اياه وقد ثبـــت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : " أصدق كلمة قالها لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل .. "

وقال مجاهد ، والثوري في قوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) أي الا ما أريد به وجهه . وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له .

قال ابن كثير : " وهذا لا ينافي القول الاول ، فان هذا اخبار عن كل الاعمال بأنها باطلة الا ما أريد به وجه الله تعالى من الاعمال الصالحة المطابقة للشريعة . والقول الاول مقتضاه ان كل الذوات فانية وزائلة الا ذاته تعالى وتقدس فانه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء . ولذا كان عمر بن الخطاب يأتي الخربه فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول : " أين أهلك ؟ ثم يرجع الى نفسه فيقول : (كل شيء هالك الا وجهه) . (٣)

---

(١) انظر التفسير لابن جرير الطبري ج ٢٠ ص ٨٢ طبع دار المعرفة بيروت لبنان
(٢) انظر التفسير لابن جرير الطبري ج ٢٧ ص ٧٨ طبع دار المعرفة بيروت
(٣) انظر التفسير لابن كثير ج ٣ ص ٤٠٢

وقال فى قوله تعالى : (كل من عليها فان) يخبر تعالى أن جميع أهل الارض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماء الا من شاء الله ولا يبقى سوى وجهه الكريم . فان الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحى الذى لا يموت أبدا .

قال قتادة : " أنبأنا بما خلق ثم أنبأنا أن ذلك كله فان " (١) .

وقال الشوكانى رحمه الله : قوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) أى من الاشياء كائنا ما كان (الا وجهه) الا ذاته . (٢) .

وقال فى قوله تعالى : (كل من عليها فان) أى كل من على الارض من الحيوانات هالك وغلب العقلاء على غيرهم فعبر عن الجميع بلفظ " من " وقيل أراد من عليها من الجن والانس " . (٣)

وفى هذه التفسيرات نرى المفسرين يذكرون أن المراد من الهلاك والفناء فى الآيتين هو موت الخلق وبقاء الخالق حيا لا يموت ولم يذكر أحد منهم ان المراد بذلك الهلاك والفناء هو ذهاب العين والاثر لجميع المخلوقات .

ثانيا : ان ما ذهب اليه المفسرون هو ما تؤيده بقية النصوص القرآنية والنبوية التى تتحدث عن عالم الآخرة والتى تصرح بأن العالم تتغير معالمه الظاهرة ويتجدد بعضها فى وقت البعث ويوم القيامة ..

قال تعالى : (اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت . واذا العشار عطلت . واذا الوحوش حشرت . واذا البحار سجرت . واذا النفوس زوجت . واذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت . واذا الصحف نشرت . واذا السماء كشطت . واذا الجحيم سعرت . واذا الجنة أزلفت . علمت نفس ما أحضرت) (٤)

---

(١) انظر التفسير لابن كثير ج ٤ ص ٢٧٢
(٢) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص ١٨٩
(٣) انظر فتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ١٣٦
(٤) سورة التكوير الآيات من ١ : ١٤

وقال تعالى : (اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتثرت . واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت) . (١)

وقال تعالى : (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) . (٢)

وقال تعالى : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)

وفي الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اين الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال : هم على الصراط) . (٣)

وأما كونه ينعدم انعداما محضا فليس في النصوص ما يدل عليه ، وسواء كان المراد بالمنعدم العالم كله أو الخلق المبعوثين يوم القيامة فانه ليس هناك ما يدل عليه .

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله متحدثا عن ما دل عليه الوحي من أحوال يوم القيامة :

بل صرح الوحي المبين بأنه ... حقا مغير هذه الاكوان
فيبدل الله السموات العلى ... والارض أيضا ذات تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكني النيران عند النضج من نيران
وكذاك يقبض أرضه وسماءه ... بيديه ما العدمان مقبوضان
وتحدث الارض التي كنا بها ... أخبارها في العشر للرحمن
وتظل تشهد وهي عدل بالذي ... من فوقها قد أحدث الثقلان
أفيشهد العدم الذي هو كاسمه ... لا شيء هذا ليس في الامكان

لكن تسوى ثم تبسط ثم تشهد ... ثم تبدل وهي ذات كيان
وتمد أيضا مثل مد أديمنا ... من غير أودية ولا كثبان
وكذا الجبال تفتتا محكما ... فتعود مثل الرمل ذي الكثبان

---

(١) سورة الانفطار الآية من ١ : ٥
(٢) سورة ابراهيم آية ٤٨
(٣) صحيح مسلم انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٢٤

وتكون كالمهن الذى ألوانه ... وصباغه من سائر الالوان
وتبس بسا مثل ذاك فتنثنى ... مثل الهباء لناظر الانسان
وكذا البحار فانها مسجورة ... قد فجرت تفجير ذى سلطان
وكذا القمران يأذن ربنا ... لهما فيجتمعان يلتقيان
هذه مكورة وهذا ناسف ... وكلاهما فى النار مطروحان
وكواكب الافلاك تنثر كلها ... كالآلى نثرت على ميدان

وكذا السماء تشق شقا ظاهرا ... وتمور أيضا أيما مور ان
وتصير بعد الانشقاق كمثل ما ... ذا المهل أو تك وردة كدهان (١)

الى قوله رحمه الله :

هذا الذى جاء الكتاب وسنه ... الهادى به فأحرص على الايمان
ما قال ان الله يعدم خلقه ... طرا كقول الجاهل الحيران

وليس من موضوعنا الاستطراد فى هذا الشأن وانما الذى نريد أن يعرفه القارىء هو أن دلالة الآيات على الاعدام المحض ضعيفة .

قال عبد الله بن عمر البيضاوى : "اعلم أنه لم يثبت انه تعالى يعدم الاجزاء ثم يعيدها فالتمسك بنحو قوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) ضعيف لان التفريق أيضا هلاك " . (٢)

وقال العضد الايجى رحمه الله : هل يعدم الله الاجزاء البدنية ثم يعيدها أو يفرقها ويعيد فيها التأليف ؟ الحق أنه لم يثبت ذلك ولا جزم فيه نفيا ولا اثباتا لعدم الدليل . وما احتج به على الاعدام من قوله تعالى : (كل شىء هالك الا وجهه) ضعيف فى الدلالة عليه ، لان التفريق هلاك .

---

(١) انظر هذه الابيات فى النونية مع شرحها للدكتور محمد خليل هراس ص ٣٢ - ٣٤ .

(٢) انظر طوالع الانوار مع شرحها مطالع الانظار للاصفهانى ص ٤٤٥ الطبعة الاولى

فان هلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبة منه وزوال التأليف الذى به تصلح الاجزاء لافعالها وتتم منافعها ، والتفريق كذلك .

قال الجرجانى : " والتفريق خروج للشيء عن صفاته المطلوبة منه فيكون هلاكا ومثله يسمى فناء عرفا فلا يتم الاستدلال بقوله تعالى : (كل من عليها فان) (١) واذا تبين ما قلنا فى تضعيف هذا القول .

فان ما احتج به من قال ان الاعادة عن جمع ما تفرق من الجواهر والاعراض من قوله تعالى : (واذ قال ابراهيم ربى أرنى كيف تحى الموتى الخ الآية كذلك ضعيف ايضا لانه لا ينفى ما ذهب اليه السلف وان لم يدل عليه ثم هو معارض بما أورد عليه من شبهة لو أكل انسان انسانا . وغير ذلك من الشبه مما يطول ذكره . والله أعلم .

---

(١) انظر المواقف للعضد الايجى مع شرحها للشريف الجرجانى ج ٨ ص ٢٩٧

الخاتمـــــــــــة

بعد أن انتهيت من هذا البحث الذى أوضحت فيه عقيدة البعـــث الآخر ، وبينت فيه أهميتها ومكانتها فى التاريخ البشرى ، أود أن أذكر هنـــا أهم النتائج التى توصلت اليها فأقول :

أولا : تبين لى أن عقيدة البعث تأتى فى المرتبة الثانية بعد عقيدة التوحيـد فى الاهمية .

ثانيا : تبين لى أن عقيدة البعث مرتبطة ارتباطا وثيقا بعقيدة الايمان باللـه تعالى على امتداد التاريخ الانسانى كما فى ديانة قدماء المصريين والفرس ، والحنفاء من العرب قبل الاسلام .

ثالثا : وتبين لى أن الديانة اليهودية كما يمثلها العهد القديم فى أسفـار موسى الخمسة ديانة محرفة بدليل عدم ذكرها لعقيدة البعث الاخير الذى دعا اليه موسى عليه السلام كما دل على ذلك القرآن وكما يمكـن أن تدل عليه الاناجيل المسيحية وبعض أسفار العهد القديم المتأخرة .

رابعا : الديانة المسيحية كما تمثلها الاناجيل الاربعة تعترف بالبعث وتذكّـر به ، ونصوصها توئيد شموله للروح والجسد ، وان كان شمولا مشوبـــا بالاقتضاب والغموض ولكنها تضل حينما تزعم أن المحاسب هو عيسى عليه السلام الذى هو ابن الله فى نظرهم تعالى الله عن ذلك .

خامسا : وتبين لى أن البراهمة والبوذيين وكذا جمهور العرب قبل الاسلام لا يؤمنون بالبعث الآخر ، وكل ما هنالك هو
مقاومة للشهوات وتجرد عن الاطماع وانسلاخ من الذاتية فى الديانـــة البوذية ، وتناسخ وآلام تكفر السيئات فى الديانة البرهمية .. وظنـــون وأوهام تستبعد قدرة الله على اعادة الاجساد عند جمهور العرب قبل الاسلام .

سادسا : وتبين لى ان الاسلام قد اهتم اهتماما رحبا بهذه العقيدة ، وأكد هـا

فى عشرات السور ، واعتنى بغرسها فى أعماق النفس البشرية ، ودعمها بمختلف الحجج وشتى الاساليب ، وأنواع البراهين :

أ - فقد لفت الانظار الى أن لهذا العالم نهاية محتومة يبلغها ويفنى عندها ، فلا خلود له كما يزعم الزاعمون .

ب - بين سبحانه أنه لم يخلق هذا الكون عبثا ، بل لكل شىء حكمه ، ولكل نشاط حساب ، فاما الى جنة واما الى نار ، ولن يستوى محسن ومسىء كما قال .

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصلحت سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) (١) .

جـ - بين جل شأنه امكان البعث الآخر باثبات خلقه لما هو أبعد فى الذهن وأدل على القدرة كما قال : (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) . (٢)

د - صور أن القدرة التى لا ينقطع لها عمل ولا انتاج أوجدت من الزرع اليانع نارا محرقة ، فكيف يعجزها ما دون ذلك فدل على امكان البعث الآخر بايجاد ما هو أبلغ فى التصور لما ينطوى عليه من تضاد ومنافاة قال تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) (٣)

هـ - كيف يعجز عن ايجاد القليل من يوجد الكثير ، وعن خلق الصغير من يخلق الكبير وذلك ما قررته الآية الكريمة :

(أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) (٤) .

فكان هذا دليلا بالاولى كما يقول الاصوليون .

سابعا : وتبين لى من بحث مسألة صفة البعث بين العلماء والفلاسفة شمول البعث للجسد والروح معا ، وأن المبعوث هو الانسان الاول بعينه جسدا وروحا .

---

(١) سورة الجاثية آية ٢١
(٢) سورة يس آية ٧٩
(٣) سورة يس آية ٨٠
(٤) سورة يس آية ٨١

هذه أهم النتائج العامة التى تبينت لى أثناء دراستى لهذا الموضوع.

وأخيرا فاننى أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث من يطلع عليه ، وأن يمن علىّ وعلى اخوانى المسلمين بالعمل بمقتضيات الايمان بهذه العقيـــــــدة الاسلامية العظيمة ، وأن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم .
وأستغفر الله وأتوب اليه ان وقع منى خطأ أوزلل أو لم يحالفنى الصواب فـــى بعض ما ذهبت اليه والله حسبى عليه توكلت واليه أنيب .

الباحـــث

المراجـــــــــع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : كتب التفسير

١ - تفسير ابن جرير الطبرى .
لابن جرير .
ط - دار المعرفة بيروت - لبنان .

٢ - الجامع لاحكام القرآن .
لابى عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبى .
طبع - دار العلم - الطبعة الثالثة .

٣ - تفسير القرآن العظيم .
لابى الفداء اسماعيل بن كثير .
طبع / دار احياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٤ - فتح القدير .
لمحمد بن على الشوكانى الصنعانى .
ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - الطبعة الثانية .

٥ - زاد المسير فى علم التفسير .
لابى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى ط . المكتب الاسلامى بيروت - الطبعة الاولى ١٣٨٤ - ١٩٦٥ .

٦ - أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن .
لمحمد الامين بن محمد المختار الشنقيطى .
ط - مطبعة المدنى بالقاهرة .

٧ - تسيير الرحمن فى تفسير كلام المنان .
لعبد الرحمن بن سعدى .
ط / المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة .

٨ - التفسير الكبير .
للفخر الرازى .
الطبعة الثانية نشر دار الكتب العلمية - طهران .

٩ - فى ظلال القرآن .
للسيد قطب طبع / دار الشروق - بيروت .

ثالثا : علوم التفسير :

١٠ - أسباب النزول .
لابى الحسن على بن أحمد الواحدى - تحقيق السيد احمد صقر
ط / دار الكتاب الجديد - لجنة احياء التراث الاسلامى بمصر .

١١ - المفردات فى غريب القرآن .
للراغب الاصفهانى - تحقيق محمد سعيد كيلانى .
طبع / مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

رابعا : كتب السنة :

١٢ - صحيح البخارى لابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى مع شرحه فتح البارى .
لاحمد بن على بن حجر العسقلانى .
الطبعة السلفية طبع عام ١٣٨٠ هـ .

١٣ - صحيح مسلم لابى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى مع شرحه للحافظ محى الدين أبى زكريا يحى بن شرف النووى .
ط / المطبعة المصرية ومكتبتها .

١٤- جامع الترمذى .
لابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة . مع شرحه تحفـــــة
الاحوذى للمبارك فورى .
ط / مطبعة المدنى بالقاهرة .

١٥- سنن أبى داود .
لابى داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدى السجتانى
مع شرحه عون المعبود .
الطبعة الثانية نشر محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية
بالمدينة .

١٦- سنن النسائى لابى عبدالرحمن بن شعيب النسائى .
مع شرحه للسيوطى وبحاشية السندى .
طبع / دار الفكر بيروت - لبنان .

١٧- سنن ابن ماجه لابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى .
ترقيم وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقى .
طبع مطبعة عيسى البابى الحلبـــى وشركاه .

١٨- الموطأ .
للامام مالك بن أنس .
بتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى .
ط/ مكتبة الشعب بالقاهرة .

خامسا : كتب العقائد والاديان :

١٩- شرح العقيدة الطحاوية .
لعلى بن على بن محمد بن أبى العز .
بتحقيق جماعة من العلماء وتخريج محمد ناصرالدين الالبانى .
طبع / المكتب الاسلامى بيروت .

٢٠ - المواقف للعضد الايجى بشرح الشريف الجرجانى .
طبع / دار السعادة ١٣٢٥ / ١٩١٧ بجوار محافظة مصر.

٢١ - شرح العقائد النسفية .
لسعد الدين التفتازانى .
ط / المطبعة الخيرية بمصر .

٢٢ - اتحاف المريد بجوهرة التوحيد .
تأليف / عبد السلام بن ابراهيم المالكى تصحيح وتعليق الدكتور
محمد يوسف الشيخ .
ط / مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان بميدان الازهر .

٢٣ - طوالع الانوار للبيضاوى مع شرحها مطالع الانظار للاصفهانى .
الطبعة الاولى .

٢٤ - الفتـــــاوى .
لشيخ الاسلام احمد بن عبد السلام ابن تيمية .
الطبعة الاولى - طبع مطابع الرياض - سنة ١٣٨٢ .

٢٥ - النبوات .
لاحمد بن عبد السلام ابن تيمية .
ط / دار الفكر بيروت .

٢٦ - النونية الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية .
لشمس الدين أبى عبد الله بن قيم الجوزيه .

٢٧ - معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الوصول .
لحافظ بن أحمد الحكمى .
ط / المطبعة السلفية بمصر .

٢٨ - الاقتصاد فى الاعتقاد .
لابى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى .
ط / مكتبة الجندى بالقاهرة وتحقيق محمد مصطفى أبو العلا .

٢٩ - المنقذ من الضلال .
للغزالى .
ط/ مكتبة الجندى بمصر .

٣٠ - ميزان العمل .
للغزالى .
ط / مكتبة الجندى بمصر .

٣١ - تهافت الفلاسفة .
للغزالى .
الطبعة الثانية ط / دار المعارف بمصر .

٣٢ - لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية .
تأليف / محمد بن احمد السفارينى .
ط/ الاولى .

٣٣ - نير البرهان فى توطيد عقائد الايمان .
لمحمد بن على المشرفى .
الطبعة الاولى .

٣٤ - كتاب الروح .
لابن قيم الجوزية .
ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٣٥ - مفتاح دار السعادة .
لابن قيم الجوزية .
ط / دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

٣٦ - أعلام الموقعين عن رب العالمين .
لابن قيم الجوزية .
ط / مكتبة الكليات الازهرية بالقاهرة

٣٧ - نقد العلم والعلماء .
لابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى .
طبع ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م .

٣٨ - الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين .
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
ط / دار احياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى .
وهو يحتوى على كتاب العقائد العضدية مع شرحها للدوانى .

٣٩ - شرح نونية ابن قيم الجوزية .
للدكتور محمد خليل هراس .
ط / مطبعة الامام بالقاهرة .

٤٠ - الوحى المحمد .
لمحمد رشيد رضا ،
الطبعة الثامنة - ط المكتب الاسلامى ،

٤١ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .
لابى الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ،
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
ط / مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

٤٢ - محاضرات فى النصرانية .
لمحمد أبى زهره .
ط / مطبعة يوسف بالقاهرة - الطبعة الثالثة .

٤٣ - مقارنات الاديان .
لمحمد أبى زهره .
ط / دار الفكر العربى .

٤٤ - كتاب الأديان فى القرآن .
لمحمود بن الشريف .
ط / دار المعارف بمصر الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢ م.

٤٥ - الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام .
للدكتور / على عبد الواحد وافى .
ط / دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .

٤٦ - تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين .
للراغب الاصفهانى .
ط / المطبعة العربية - حلب باب النصر .

٤٧ - مشاهد القيامة .
للسيد قطب طبع / بيروت ،

٤٨ - الملل والنحل .
لابى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى .
ط / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

٤٩ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل .
لابن حزم الظاهرى .
ط / مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة .

٥٠ - تحقيق ما للهند من مقوله .
للبيرونى .
ط / حيدرآباد الدكن .

٥١ - الرد على الدهرية .
لجمال الدين الافغانى ، تحقيق محمود أبوريه .
ط / دار الكرنك للنشر والطبع بالقاهرة .

٥٢ - عقيدة البعث فى الاسلام .
د / التهامى نقره . نشر الجامعة التونسية .

٥٣ - الله والانسان .
لعبد الكريم الخطيب .
ط / دار الفكر العربى - الطبعة الثانية - ١٣٩١ - ١٩٧١ .

٥٤ - مناهج الادلة فى عقائد الملة .
بتحقيق د / محمود قاسم
لابن رشد
الطبعة الاولى .

٥٥ - الرد على الدهرية .
لجـــرج سول .

٥٦ - تجديد الفكر الدينى .
للفيلسوف محمد أحمد اقبال .
ط / الاولى .

٥٧ - مختصر تذكرة القرطبى .
لعبد الوهاب الشعرانى .
ط / دار الوعى بحلب - الطبعة السادسة .

٥٨ - قصة الحضارة .
لول ديورانت ترجمة محمد بدران .
ط / جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٥٩ - المسيح فى الاناجيل .
لفتحى عثمان .
ط / الاولى .

٦٠ - منازع الفكر الحديث .
تحقيق عباس فضل .
نشر / المجمع العلمى العراقى .

٦١ - الادب والدين عند قدماء المصريين .
لانطون زكرى .
ط / الاولى سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م .

٦٢ - الله عنوان كتاب .
لمحمود عباس العقاد .
ط / دار المعارف بمصر .

٦٣ - هادى الارواح .
لابن قيم الجوزية .
ط / مطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة الطبعة الثالثة .

٦٤ - رسالة أضحوية فى أمر المعاد بتحقيق د . سليمان دنيا .
لابن سينا .
ط / دار الفكر الطبعة الاولى .

سادسا : الكتاب المقدس :

٦٥ - التوراة .

٦٦ - الاناجيل الاربعة المعتبرة عند المسيحيين .

سابعا : كتب اللغة :

٦٧ - القاموس المحيط .
للفيروزآبادى .
ط / الثانية نشر مصطفى البابى الحلبى .

٦٨ - لسان العرب .
لابن منظور .
الناشر - دار صابر - بيروت - لبنان .

٦٩ - معجم مقاييس اللغة .
لابى الحسين بن فارس .
ط / الثانية مطبعة الحبى بمصر .

٧٠ - مختار الصحاح .
تأليف محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى .
ط / دار الكتاب العربى بيروت - لبنان .
الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

الفهـــــــــــــــرس

الموضـــــــــــوع	الصفحـــــة
المقدمة	
تمهيد	
أ ـ تعريف البحث لغة .	١
تعريف البحث شرعا .	١ - ٤
ب ـ أهمية البحث فى هذا الموضوع .	٥
البـــــاب الاول	
نبذة تاريخية عن البحث فى الاديان القديمة	١٤
الفصل الاول : عقيدة البحث عند قدماء المصريين	١٥
أ ـ موقف قدماء المصريين من البحث	١٥
ب ـ صفة البحث عند قدماء المصريين	١٦
جـ ـ البحث عند قدماء المصريين يشمل الاخيار وغيرهم	٢١
الفصل الثانى : عقيدة البحث عند الفرس	٢٣
أ ـ موقف الفرس من البحث	٢٣
ب ـ الزرادشتيه ومصير الروح	٢٤
جـ ـ نظرة فاحصة فى الديانة الزرادشتية	٢٦
الفصل الثالث : عقيدة البحث عند الهنود	٢٨
أ ـ موقف البراهمة من البحث	٢٨
ب ـ موقف البراهمة من الروح	٢٩
جـ ـ موقف البوذية من البحث	٣٢
الفصل الرابع : البحث عند العرب قبل الاسلام	٣٥
أ ـ البحث عند العرب الوثنيين	٣٥
ب ـ البحث عند العرب الحنفاء	٣٩

الموضـــــوع	الصفحـــة
البـــاب الثانـــى	
البحث فى الاديان السماوية السابقة للاسلام	٤٥
الفصل الاول : البحث فى اليهودية	٤٦
أ - تعريف باليهودية الحقة وموقفها من البحث	٤٦
البحث عند اليهود فى القرآن الكريم	٤٧
ب - البحث عند اليهود فى العهد القديم	٥٠
البحث عند اليهود فى بقية الاسفار	٥٦
الفصل الثانى : عقيدة البحث فى المسيحية	٦٥
أ - موقف المسيحية قبل التحريف من البحث	٦٥
ب - موقف المسيحية بعد التحريف من البحث	٦٦
نصوص من الاناجيل الاربعة	٦٧
حول معنى هذه النصوص	٧١
البـــاب الثالـــث	
عقيـــدة البحـــث فى الاســـلام	
تمهيد يحتوى على مقدمات نفسية وفكرية توضح التصور الاسلامى لعقيدة البحث	٧٥
أولا : هذا الخلق الكونى له حكمة وغاية	٧٦
ثانيا : هذا العالم القائم له نهاية	٧٨
أدلة البحث العقلية	٨٢
قصة أهل الكهف دليل فطرى على الايمان	٨٤
ايمان الحنفاء دليل فطرى على الايمان	٨٥
أدلة البحث من القرآن الكريم	٧٨
اهتمام القرآن الكريم بالبحث الآخر يتجلى فى امور:	
١ - الاكثار من ذكره فى عشرات السور والآيات	٨٧

الموضـــــوع	الصفحـــة
٢ - ربط الايمان بالبعث مع الايمان بالله تعالى	٨٨
مسالك القرآن الكريم فى اثبات البعث	٨٨
الاستدلال بالبدء على الاعادة	٨٨ - ٩٩
عرض شبه المنكرين والرد عليها	١٠٠ - ١١٧
الاخبار المجرد عن ذكر دليل أوشبهة	١١٨ - ١٢٣
الاستدلال بالبعث الحسى على البعث الغيبى	١٢٣ - ١٢٩
أدلة السنة النبوية على البعث الآخر	١٣٠ - ١٤٢
الفصل الثانى : الآراء المحكية فى صفة البعث :	
أ - الكلام على صفة البعث وذكر الخلاف بين	
علماء الاسلام والفلاسفة فى ذلك	١٤٣
الاقوال المحكية فى البعث عموما	١٤٣
مناقشة الفلاسفة الطبيعيين فى انكار البعث	١٤٤
ابطال مذهب من يرون الوقف فى عقيدة البعث	١٤٦
ليس من منهج السلف اطلاق القول بان المعاد	
جسمانى فقط	١٤٦
الروح موصوفة وليس مجردة	١٤٧ - ١٤٨
آراء الفلاسفة المنكرين للمعاد الجسمانى	١٤٨
مناقشة الغزالى للفلاسفة وابطال شبهتهم	١٥٠ - ١٥٩
المعاد جسمانى وروحانى بصريح العقل وصحيح النقل	١٦١
مناوشات متهافته ، والرد عليها	١٦٢
النعيم الأخروى حسى ومعنوى بصريح العقل	
وصحيح النقل	١٦٣
المبعوث هو الجسد الاول بعينه	١٦٧
قول الغزالى باعادة المثل قول على سبيل	
التنازل مع الخصم	١٦٩

الموضـــــــوع	الصفحـــة
الفصل الثالث : آراء علماء الاسلام فى صفة الاعادة	١٧١
مذهب علماء الكلام فى صفة الاعادة	١٧١ - ١٧٥
مذهب السلف فى صفة الاعادة	١٧٥ - ١٨٠
موقف القرآن والسنة من الآراء السابقة	١٨٠ - ١٨٤
مذهب السلف هو القول الراجح	١٨٤ - ١٨٧
مباحث مهمة تتعلق بصفة الاعادة	
المبحث الاول : المعاد هو المبدأ	١٨٧ - ١٩٠
المبحث الثانى : الاستحالة لا تؤثر فى عينية المعاد	١٩١ - ١٩٣
المبحث الثالث : مناقشة أدلة المتكلمين النقلية	١٩٤ - ١٩٩
الخاتمة	٢٠٠ - ٢٠٢
قائمة المراجع	٢٠٣ - ٢١١
الفهرس	٢١٢ - ٢١٥